صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
فنية
مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق - ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

شباط ١٩٦٣
العدد التاسع
السنة الخامسة

مع ميثاق الثورة الجزائرية

بقلم : الدكتور عبد العزيز الدوري

ان ثورة الجزائر حدث فذ في التاريخ المعاصر . فقد بدأت ثورة سياسية محدودة ، وغدت ثورة عامة شاملة صحبها تحول داخلي جعل بناء المجتمع الجزائري على أسس ثورية جديدة هدفها الشامل . وقد تمثل هذا الهدف في ميثاق جبهة التحرير الوطني الجزائرية[1].

لم يكن الميثاق نتيجة التأمل وحده ، ولم يكن تقليدا لايدلوجية معينة ، كان نتاج تجربة ثورية شاملة وجهد فكري عميق وثقة بالذات . وهو لذلك جدير بكل عناية وتحليل . وسنكتفي الان بعرض سريع له .

يبدأ الميثاق بفكرة تحقيق الذات الشعبية وتجديدها ، ويرسم الخطوط والاتجاهات التي تؤدي الى ذلك . فالميثاق يريد مجتمعا له قيمه وأسسه ، تكون السلطة فيه للشعب وتعمل لمجموعه . ويريد مجتمعا تسوده العدالة الاجتماعية ، لا محل فيه للاقطاعية ولا لنشاط برجوازي مستغل او تابع للاستعمار ، بل يتجه وجهة اشتراكية تسير وفق تخطيط اقتصادي موجه . ويريد الميثاق تربية قومية ثورية عالمية تعمل على تكوين المجتمع الجديد وتصل مستقبله بجذوره ، ويريد دولة تتبع سياسة متحررة فتسير في طريق الحياد الايجابي ،وتدعم اتجاهات الوحدة ، وتسند حركات التحرر في العالم .

وتتخلل الميثاق بعض الآراء الاساسية . فهو يتخذ القاعدة الشعبية الكبرى نقطة انطلاقه وتركيزه في آن واحد . وهو يريد مجتمعا حرا تقدميا في كافة اتجاهاته. وبعد هذا نرى في الميثاق الترابط المعنوي بين خطوط بناء المجتمع في نواحيه والتقاؤها جميعا عند نهاية واحدة .

فالميثاق يريد النهج الديموقراطي في الحكم . والديمقراطية لا تقتصر على حرية الفرد ، بل تشمل حرية التنظيم والعمل على اساس الشعور بالمسؤولية ، والسلطة للشعب كله . واقامة هذه الديموقراطية تتطلب ازالة اثار الاستعمار ، وازالة الاقطاع وما يرافقه من سلطة ابدية جبرية ، ويتطلب منع اية طبقة جديدة من محاولة الاستئثار بالحكم . ومن مفاهيم الديمقراطية تعدد الاحزاب ، ولكن انصهار الشعب خلال حرب التحرير الطويلة في جبهة واحدة وتعبئة قواه في خط واحد ادى بصورة عملية الى انتظام بعد الاستقلال في جبهة سياسية ثورية واحدة ، فيها مجالات للاجتهادات التفصيلية بين صفوفها ولكنها تنتظم في خطوط الميثاق . وهذا تطور له طابعه ومحله في المفاهيم الديموقراطية .

ويسير التنظيم الاقتصادي الاجتماعي في خط

(١) نشرته دار دمشق للطباعة والنشر .

موازٍ . فالعدالة الاجتماعية هدف اساسي ، يتحقق بتخطيط اقتصادي يعتمد الاشتراكية طريقا . وهذا التخطيط يستهدف الشعب كله ، ويولي الاكثرية الغالبة، من الفلاحين ، عناية خاصة ويعتبرهم قاعدة هذا النظام. فلم يكتف الميثاق بتحديد الملكية الزراعية وتوزيع الارض على الفلاحين ، بل قرر اعطاء الارض لهم دون مقابل ، ومنع بيع الاراضي الموزعة او تأجيرها منعا لعودة الملكيات الكبيرة ، ورسم انتظام الفلاحين في جمعيات تعاونية تمكن من تنظيم العمل والتسليف والتسويق وتطبيق التقنية الحديثة . واكد الميثاق على التصنيع ، أما في نطاق القطاع العام الذي تتولاه الدولة لمصلحة الشعب ، أو في نطاق النشاط الفردي ضمن التخطيط العام . ولا شك ان مصلحة الشعب تتطلب تسخير الثروات والطاقات المعدنية لخدمته ، وكذا وسائل النقل وشركات التأمين والمصارف . وهذه كلها كانت مناطق استغلال استعماري. ولذا اتجه الميثاق الى تأميمها لخدمة الشعب ولمنع تحولها الى احتكارات استغلالية خطرة .

وقبل ذلك ، يوجب الميثاق ازالة الاقتصاد الاقطاعي ، الذي نشأ في ظل الاستعمار ، وازالة مايرافقه من علائق اجتماعية استغلالية تهدم المجتمع ، ورفض مفهوم الاقتصاد الحر في بلد يريد البدء بالبناء ، منعا لاستغلال الشعب لحساب فئة صغيرة وحماية لاقتصاده من ان يرتبط بذلك الاقتصاد الاستعماري .

واذا كان الاقتصاد يتجه الى مجموع الشعب ، فان التخطيط الاجتماعي يتخذ الوجهة ، ابتداء بالقاعدة . فهنا كهدف أول وهو رفع مستوى المعيشة للجماهير . ويتصل بهذا السعي الى تاميم الطب لتيسير الطبابة المجانية للجميع في أقرب وقت . وكانت للمرأة الجزائرية مساهمتها الفعالة في معركة التحرير ، فأكد الميثاق على أهمية اشراكها الكلي في كافة شؤون البلاد وفي تطويرها ، وعلى دعم المنظمات النسوية .

وتوجيه الشعب في اطرا ثورة يوجب تكوين « طليعة واعية » من العناصر المثقفة بين الفلاحين والعمال ومن الشباب المثقفين الثوريين ، تعمل في تهيأة الاطار الفكري الثوري الذي يعكس توثب الجماهير وتساهم في بناء المجتمع الثوري . فالميثاق يريد ثقافة قومية ثورية علمية . انه يريد العناية بالعربية لتستعيد كيانها كلغة حضارية . ويريد بعث وتقييم ورفع مكانة تراثنا الثقافي وآدابه الانسانية لا ليكون نصيب فئة محدودة ، بل ليكون عاملا في تربية الشعب . ويريد تعريب التعليم والنهوض بالثقافة القومية ليضع الاطار الاصلي للذات الثقافية . كما انالنظرة العلمية والمقاييسالعلمية وانفتاح الافق الثقافي الان ، كما كان الحال في الحضارة العربية الاسلامية ــ تعد سبل الابداع والارتقاء .

وبعد هذا ينتظر ان تكون الثقافة شعبية تنمي كفاح الجماهير باشكاله وتساعد على تطوير الوعي الشعبي الثوري . وهكذا يسير الشعب مع حركة التاريخ الى الخطر ، وتفكك الذات .

ويرافق ما ذكرنا التأكيد على استعادة الشعب لقيمه واسسه ــ التي هدمها الاستعمار ــ استعادة واعية وتصفية الخرافات المنافية للتقدم الاجتماعي ، واساليب التفكير الرجعية المتصفة بالسطحية والتبعية والجمود .

واذا كانت هذه الوجهات كلها تؤدي الى تحرير الشعب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وتؤكد ذاته الواعية الاصيلة ، فان السياسة الخارجية تهدف الى تأكيد هذا التحرر الشامل . ويتمثل ذلك في الحياد الايجابي والتعاون مع دول الحياد ، وفي « مساندة حركات الوحدة في المغرب والعالم العربي وافريقيا » وفي تأييد حركات التحرر في العالم .

هذه نظرة اولية على ميثاق الثورة الجزائرية ، واملنا ان نعود الى تحليله بصورة اوفى .



من حديث رمضان

الدكتور صالح الأشتر



من أشد ما أحرص على القيام به في رمضان تلك الساعات الهانئة التي أقضيها في مطالعة كتاب من كتب سيرة النبي ، فقد أقضي ثلث النهار في قراءة طويلة ممتعة ، لا أمل فيها ولا أضجر ، لاني أحس بجو من الروحانية يغمر قلبي ، وأنا أعيش تلك الفترات السعيدة في ظلال مدرسة النبوة ، أشهد في شغف وشوق صورا من نضال النبي العربي وصموده في وجه الشرك ، ليحقق لرسالته العظيمة النصر ، ويحشد حولها قبائل العرب في أول وحدة قومية جامعة عرفتها أمتنا العربية في تاريخها الطويل .. من أجل هذه الساعات التي أقضيها في مدرسة السيرة قارئا متأملا معتبرا ، أجدني أنسى كل ما أعاني في رمضان من وطأة الجوع والعذاب والحرمان ، حتى لقد بت أشعر أن قراءة السيرة في رمضان متعة لا تسخو نفسي بالتفريط بها ، الا اذا عزمت ان اقضي ساعات الصوم في مكابدة سافرة عزلاء لثورة المعدة الخالية واستغاثتها !

هذه حقيقة أبوح بها راجيا ألا يبني عليها القارىء الظن بأني أحتال بالسيرة على خنق الاحساس بالصوم ، وبأني حريص على قراءة السيرة في رمضان لهذه الغاية وحدها ، ذلك أني أعرف من فوائد دراسة السيرة ما يدفعني دوما الى قراءتها والرجوع اليها في شهر رمضان وغيره من أشهر السنة :

في مقدمة تلك الفوائد الفائدة الثقافية : فسيرة محمد حقيقة تاريخية صحيحة ، تفصل دقائق حياته ، وتكاد تقدم لنا كل جزئيات عيشه : كيف كان يأكل ويشرب ويلبس وينام ، كيف كان يعيش مع أهله في بيته ، ومع الناس في المسجد والسوق ، وفي السلم والحرب ، وقد دهش المستشرقون لذلك فقال احدهم ـ رينان ـ بصراحة : « حياة مؤسس الاسلام معروفة عندنا معرفة حياة المصلحين في القرن السادس عشر » وفي دراسة هذه الحياة فائدة ثقافية تاريخية ، لان سيرة النبي هي التاريخ الحق الصحيح لفترة فجر الاسلام وانطلاق المارد العربي في جزيرته الصحراوية ، يحمل مشعل الحق والنور والهداية الى أمم الارض في كل مكان .

وثانية تلك الفوائد الفائدة الاخلاقية : فسيرة محمد هي سيرة الرجل العظيم الكامل ، سيرة القدوة الطيبة لكل انسان يتلمس الطريق المثلى الى عالم أكمل وأمثل ، « ولكم في رسول الله أسوة حسنة » وهي الاسوة العملية لكل سلوك خلقي حريص على النقاء والنظافة ، ولقد سئلت عائشة يوما عن أخلاقه عليه السلام فأجابت : « كان خلقه القرآن » وكذلك كانت سيرة النبي تطبيقا عمليا لتعاليم الكتاب الكريم ، وهي بذلك ترسم المنهاج السلوكي الاكمل لاخلاقية الانسان . وثالثة تلك الفوائد الفائدة الدينية : فسيرة محمد مصدر من مصادر الشريعة

وفيها توضيح تطبيقي عملي لكثير من شعائرها ، والسيرة تعمق فهمنا للقرآن وتعيننا على تفسيره واحسان تدبره ، وهي التي تفصل لنا الكثير من الاحكام التي أجملهـا القرآن واكتفي ببيان الخطوط الرئيسية منها ، والله يقول لنبيه : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » ٠

لهذه الفوائد كلها أحرص على قراءة السيرة في رمضان وغير رمضان ، فهي تمنحني ثقافة تاريخيـة موثوقة ، وتقدم لي مثلا أخلاقية رفيعة ، وتزيد من وعيي الديني وفهمي للقرآن ، وهي في رمضان متعة كريمة تستبد باحساسي كله ، فتمر الساعات الطويلة يطويها الزمن طيا سريعا ، وأنا مستغرق في القراءة كـل الاستغراق ، في وجد صوفي عجيب ، حتى اذا أفقت منه وجدت نهار الصائم يغذ الخطا نحو الغروب !

★ ★

يجب أن أعترف بأني لا اقرأ السيرة قراءة دارجة أطوي بها صفحات الكتاب ، ولو كنت أفعل ذلك لما كنت جديرا بتلك اللذة الروحية التي تنسكب في وجداني عند مطالعة السيرة ٠٠٠ ان لي منهجا في قراءة السيرة يكفل لي وعي ما اقرأ ونقـده وتمحيصه ، ويجعلني أطمئن الى صحة الاحداث المروية وييسر لي السبيل الى تذوقها وتحليلها واستقطاب الفوائد منها ٠٠ ذلك أن في كثير من كتب السيرة أشياء عجيبة حقا تساهل الرواة في نقلها ، وامتدت اليها خلال الزمن بعض الايدي العابثة فألحقتها بالاساطير ! مثل هذه الاشياء بحاجة الى منهج صارم في القراءة ، ينقد كل حدث ويميز فيه الصحيح من الزيف ، وينقي الحقائق مما علق بها من أوهام ٠٠ وهذا المنهج بسيط وواضح وقريب من كل قارىء مثقف، لانه يعتمد هذه المعايير الثلاثة :

ا ـ القرآن الكريم

ب ـ صحيح السنة

حـ ـ تأييد الرأي والعقل

فأما القرآن فهو أوثق المقاييس وأضمنها ، ذلك أن آياته ترسم الخطوط الكبرى في حياة النبي : تحدثنا قبل النبوة عن يتمه وفقره ، وبعد النبوة عن نزول الوحي عليه وتبليغه الرسالة والعروج به ، وعن عداوة المشركين والكتابيين له ، وهجرته الى مكة ، وغزواته وانتصاراته ، كما يحدثنا القرآن عن أخلاق النبي وشمائله ، مما يؤلف صورة واضحة المعالم عن شخصية محمد ، وهذه الصورة القرآنية له ميزان موثوق ومعيار دقيق ، نعرض عليـه حوادث السيرة ، فتقبل ما يقبله ، ونرفض ما يرفضه !

وأما الحديث الصحيح فهو المقياس الموثوق الثاني في الحكم على أحداث السيرة ، ذلك أن كتب الحديث تقدم لنا تفصيلات مدهشة حقا عن حياة النبي ، وفي كل كتاب من كتب الحديث فصل في المغازي والسير ، وفي كل فصل مادة غزيرة دسمة تعد من أهم مصادر السيرة ، فنقبل ما يقبله ويؤيده ، ونرفض ما يرفضه !

يبقى المعيار الثالث والاخير في نقد أحداث السيرة وهو تأييد الرأي والعقل ، فكل ما لم يصححه القرآن ، ولم يقبله الحديث الصحيح ، ولم يؤيده الرأي والعقل مدسوس على السيرة مدخول ، نشك فيه ونرفضه ولا نقبله ٠

ما يبقى من أحداث السيرة في الغربال ، بعـد تحكيم هذه المعايير الثلاثة هو الصورة النقية الخالصة لحياة النبي ، ومن ملامحها الكريمة أستشف تلـك الفوائد العظيمة التي قدمت الكلام عليها ٠

★ ★

وبعد ٠٠

فتلك هي مدرسة السيرة ، تكلفت لنـا القراءة الواعية الناقدة أن تنقيها من أو شاب الاوهام والاساطير ، وتقدم لنا منها غذاء ثقافيا أصيلا ، ونهجا خلقيا مثاليا ، ونشوة روحية مطهرة ٠٠ وفي رمضان يزداد حـرص الصائم على أن يفوز بهذه الطيبات كلها كاملة غـير منقوصة ٠٠

لهذا كان الكلام على مدرسة السيرة عندي مـن خير ما يقدمه حديث رمضان ٠

صالح الاشتر

البير كامو
واسطورة سيزيف

بقلم : بدر الدين الطرابلسي

يأتي المرء كل يوم باعمال معينة في اوقات محددة . فهو يستيقظ في الصباح لينصرف الى عمله ثم يتناول طعام الغذاء ليعود ثانية الى عمله .. أو يرتاد ملهى ... ثم يؤوب الى منزله اذا جن المساء فيتناول طعام العشاء ويأوي الى مخدعه ... وهكذا دواليك طوال ايام الاسبوع ، وطوال الشهور ، وطوال السنين ، ويظل يسترسل في حياته على هذه الوتيرة حتى تلوح له الحياة برمتها مجرد عادة مقيتة يستمر في اتباعها دون وعي حتى النزع الاخير ، ولكن كثيرا ما ينهض الانسان وسط هذا الدوران الصاخب المجهد ، والاضطراب الدائب ، ليسأل نفسه في عزلة فردية عميقة : اية فائدة ترجى من حياة كهذه ؟! ويحس بحيرة شديدة تعصر كل كيانه .. وتذيب صلابته .... وخور داخلي يجلله بالسواد والقتامة . وفي هذه اللحظة الواعية يفيق من سباته ليمثل عاريا امام الحياة ، وينقب عن الدوافع الخفية التي تحفزه الى تجرع الغصص في سبيل المحافظة على وجود واطالة ايام موسومة بالتفاهة لا يلحظ فارقا بين امسها وغدها ، فيبين له سخف الحياة وعبثها اللامتناهي ، ويتحصن داخله الجزع ، ويستبد به القلق العاصف . وهو لا يشهد اذ يجيل الطرف حوله الا مخلوقات تتلاشى في قاع هوة سحيقة ، يرى كل شيء يلفه الزوال والفناء ، وحيئذ يمتصه الزهول الخارق وتمزقه المرارة ، ويشعر بفحيح جمر متقد في اعماقه فينقم ويتبرم ويسائل حائرا شاردا لماذا ؟

تلك هي الحال التي يسميها البير كامو (الوعي بالتفاهة الذاتية) وهي مرحلة تواكبها مرحلة اخرى هي الثورة النفسية والهياج الداخلي اذ ان الشعور بالسخف ينطوي حتما على الثورة عليه !! وثمة نتيجة هامة يرتبها كامو على هذا الشعور وهي الاقدام على الانتحار فاذا ما اقتنع الانسان بسخف الحياة وضحالتها وجب عليه أن يساير المنطق حتى النهاية فيؤثر الفناء السريع على حياة تجردت في نظره من اي معنى ، ولما كان الموت الحقيقة الوحيدة الخالدة في هذا العالم فلماذا لا يريح الانسان نفسه من عناء وشقاء لا طائل تحتهما ؟ ويحصل على الخلاص في الفناء العاجل ؟ للاجابة على هذا السؤال نقول بأن هناك دافعا واحدا يحفز الانسان على احتمال المشقات وتجشم الصعوبات وهو الامل اي الايمان بحياة اخرى سرمدية تبدأ عندما تنفض النفس عنها غبار الحياة الاولى وتبدو للمرء وكأنها تكملة ازلية للحياة الارضية !!

وهناك نتيجة ثانية رتبها كامو على الشعور بالسخف وهي بلوغ (الحرية) وليس يقصد بالحرية معناها الشائع المعروف وانما يرمي بهذا اللفظ الى فكرة اخرى !! يقول كامو :

ان احساس الانسان بفنائه يحرره من كل قيد حتى اذا ما اقدم على عمل في حياته العادية لم يعبأ بماهيته لعلمه بمصيره المحتوم ! وحينئذ تجنح نفسه الى الانعتاق من كل اسر مادي ... شاعرة أنها حرة طليقة لا تأبه لشيء ولا تلوي على شيء ! فاذا ما انطلقت النفس هذا الانطلاق الحر احست بالراحة تنداح في اغوارها !! وقد وصل الكثير من الفلاسفة بتفكيرهم الى هذه الفكرة فأحسوا بعبث الحياة وزيفها ولكنهم رغم ذلك لم يغرقوا في لجة اليأس المطلق وانما طفوا ونجوا الشعور بالعدم لاعتصامهم بايمان راسخ ثابت لا يتزعزع في حين غاص آخرون مثل كامو ونيتشه ودستوفسكي وسارتر في دياجير الشك المدلهمة !!

وثمة نتيجة ثالثة ضرورية تتمخض عن منطق كامو وهي (الجموح) وتفسيرها ان الانسان لا يملك من الحياة الا ما منحته الطبيعة فخليق به اذن ان يتمتع بنصيبه الدنيوي الى اقصى حدود التمتع !! وان يسعى

دائما الى تنويع حياته ... وتجديد عيشه الارضي . ولما كان لا يستطيع بحال من الاحوال ان يمد حياته عن طريق الطول اذ هو لا يسيطر على عمره . فعليه اذن ان يترعها زخما وعمقا !! والآن وقد ظهرت فلسفة كامو يحق لنا ان نتساءل ألا يوجد لدى الانسان المنطقي سبب آخر للحياة سوى غريزة البقاء التي تحفزه على مواصلة السير في درب الحياة الشائك ؟!! الا يستطيع الانسان ان يعتصم بحبل الايمان الصادق سيما بعد أن حرق كامو من فسحه الامل الذي يحدو الى المثابرة والجلد ولم يدع له سبيلا للنجاة الا الانتحار ؟!! الا يتخلل يأس الانسان من عالمه بصيص من الامل ؟! ان كامو لا يرى سوى حلين .. الانتحار ! او الرضا بعيش فاتر جامد لا يعني شيئا سوى الاستمرار في الحياة !! ويسوق الينا كامو في هذا المضمار اسطورة يونانية قديمة يرى فيها الرد الشافي على جميع اسئلتنا !!

زعم الاغريق القدماء في اساطيرهم الغابرة ان سيزيف ابن ايول وملك كورثينا كان رجلا دمويا ينشر الرعب ! ويزرع الارهاب فغضبت عليه الآلهة وحكمت عليه بعد مماته تكفيرا عن خطيئته ان يظل مدى الابد في الجحيم يدحرج صخرة عاتية حتى يثبتها فوق قمة جبل . وكان سيزيف كلما وصل بالصخرة الى الموضع الذي يجب ان تربض عليه يراها تهوي من شاهق الى حضيض الارض فيدلف وراءها ويعيد الكرة حتى يبلغ بها القمة من جديد فتسقط الصخرة مرة ثانية وهكذا دواليك !! وقد غدا سيزيف مضرب الامثال عند ذكر عمل سخيف لا جدوى منه !! ومن اجل ذلك انتشل كامو شخصية سيزيف من الجحيم . يقول كامو ان ما يثير اهتمامه فعلا هو تلك الفترة التي تمر على سيزيف وهو عائد من القمة ليحمل الصخرة الازلية من جديد وهو عالم انها مصدر شقائه !! خلال هذه الفترة يجد المسكين مجالا للتنفس والتأمل في حظه العاثر .. وعندئذ يثوب اليه رشده ، ويفيق من ذهوله ، في هذه اللحظة بالذات يبدو لنا بجلاء ووضوح ان سيزيف قهر قدره ! وتغلب عليه وغدا اشد صلابة من الصخرة التي ينوء بحملها !! ان سيزيف يدرك تماما ان جهده ضائع وما يبذله ذاهب سدى ورغم ذلك لا يفتأ يصارع حظه العنيد حتى يصرعه وهو يصرع حظه لانه يحتقره ويزدريه !! ويسوقنا كامو في تأملاته الى ابعد مدى فهو يردف زاعما ان سيزيف ينتهي به المطاف الابدي الى جني لذة من شقائه المزمن لشعوره انه قابض على زمام قدره !! وينتهي كامو الى القول بأن الكفاح لبلوغ قمة الحياة يكفي في حد ذاته لملء قلب الانسان بنفحات من الغبطة والرضى !! وهو يرمي بهذا الى أن الكفاح في ذاته خير من النتيجة ! الا أن هذه النظرية لا يسيغها المنطق السليم اذ لو سلمنا بقول كامو ان سيزيف يثوب اليه وعيه في اللحظة التي ينأى بها عن القمة وانه يشرع في مغالبة الصخرة العنيدة وهو مدرك سخف عمله . فان صح ذلك عشرات المرات الا انه لا يصح الى النهاية وان سيزيف وهو يدفع الصخرة المرة اثر المرة ولا يلمح امامه الا الحجر الاصم الاشم سوف يجمد حسه المستنير !! ويخبو وعيه المتقد فيصبح دمية حية تأتي بحركات معينة دون وعي او معرفة . واذا صح هذا الاعتراض ولا نخاله الا صحيحا فان منطق كامو ينهار من اساسه كما ان الاكتفاء بلذة الكفاح في ذاته قول فيه نظر اذ يفوق طاقة البشر فاذا ايقن الانسان انه لن يبلغ هدفا من نضاله الدائب وصراعه الدائم مع حرمانه ايضا حافز الامل فانه يضيق ذرعا بالعمل ويستحوذ عليه القنوط ثم اليس الافضل للمرء ان يكف عن سبرغور نفسه في كل لحظة ؟ وان يحجم عن تحليل نوازعه وتمحيص دوافعه وتشريح روحه ؟ ألا يعد الهرب من الواقع نصرا عليه في بعض الاحايين ؟ واخيرا اليس الانفع والاجدى لنا ان نغض الطرف فلا نبلبل عقولنا ونشتت مدركاتنا بصوغ سؤال عقيم يتكفل الموت وحده بالاجابة عليه اجابة حاسمة ؟!

بدر الدين الطرابلسي

ليلة .. وما بعدها

شعر : نديم محمد

أنت والخمرة والليل ونفسي وهواها
كل اصنامي ، ولا والشعر ، لم اعبد سواها
سلسلت عيناك في عيني من قلبك آها
فتشاكينا ضلوعا .. وتناجينا شفاها
وتساقينا من اللذة مسكار شذاها
ألهوى .. من قال دنياه تخطاني مداها
سحبت ، في بردة العشرين ، خمسوني خطاها
من يراني انكر الشيب وعنه اتلاهى
خصل في انملي او قطف الضوء تراها
ورضاب كدم الشمس وما قلت سناها
وافاويق من النعمى واشياء وراها

★

ليلتي جنة احلام ، تخطفت جناها
وحكاياها وما اشهى اذا الصمت رواها
نزلت كوخي والقت في زواياه مناها
فسخا ضيفي وأغلى وزها شيبي وتاها
يا لعيني .. لا وعين الله .. ما ذاقت كراها

الاسطورة الاليفة

بقلم: عاليه رمزي

حسان ..

انت رجل متشعب المواقف - تتقن فن البراءة الذاتية الملحة .. تقذف جسدك وسط اجواء ينتحر فيها العطر الانساني الاول . سجين مسافات وجودية تفتح الى الاسفل دائما ..

يا لك من ذواق ساذج الهووس ، تبحث عن شموس تفور بلهيبها وحدك . اتخيلك الآن تستنشق تعاسة مريعة تلون وجهك الوثني السمات . اتخذت لك مكانا بين عائلتك ، بدأت تبحث لك عن موضوع رشيق . تستطيع فيه ان تهدم نظريات والديك واخوتك - ليقال عنك انك تنتمي الى عائلة المثقفين القلائل في بلادك .

انت تنتمي الى شيء ما . وهذا خطأ لعين . حيث لم يكن عملك حاسما ان تنتمي الى نفسك الى نفسك اولا . انت تتفرج على الناس من ركن عاقل الصخور والحجر . ولا تملك القناعة النفسية في تجربة التفرج على نفسك اولا .

أحب فيك هذه الملامح المعروقه تتكاثف بأبقاع دائري الهندسة ، ترفض السكون الابدي - تحن الى الحياة في قصر شفاف المعالم - تتطوع ان يترسب في عمقك كل ديدان الوجود لتنسج من لحمها نسيجا يقشر ما لديك من جوع صميمي الازمه .

تضحك الان لنكتة أطلقها أخوك « راغب » تضحك بمرارة . لانك صاحب فكرة النكتة الاصلية ، انت تحب الاصالة في كل شيء الأ الحب . مع الاسف .

انت خارج عن دائرة هذه العائلة الطيبة ، الساذجة . واقف على الساحل . يدفعك موج ضخم . سرعان ما تفر منه الى ساحل آخر . اهدأ نفسا . لا شأن لك بمصدر هذه الضخامة الازلية . لانك ضخم الجثة . وهذا يكفي ان تكون أقوى من الموج ألف مرة .

هيكلك يثير في بقعا هامدة الانفجار . ترى هل تحب أن أكتب لك أشياء بلا رصيد . ام اشد ما في جوفي من مشاعر وليدة القذف الحاني الى وعي الساخن تعكس لك دخانا بلا صدى .. انت رجل دون شك . تندح رجولتك في جذوري لتتفرع ثمارا ناضجة الكثافة . حجمك العملاق يذكرني بوثن مشروط الشفتين كنت أراه في كتاب تاريخي القدم . وجهك يذكرني باسطورة ممزقة قرأتها - من بعيد - لاديب مشهور ، عيناك فيهما جوف رحب يسع عدمي الازلي .

احب عينيك واكرههما معا . لانني ارى فيهما ثقلي الاول . ارى فيهما فوهة عارمة السخونة . تعري لك ذاتي من خطوطها الانثوية الحالمة . احبها لانني كنت احيا بها بذهول حقيقي ..

ربما تسألني كم مرة أحببت بعنف . وهذا سؤال فيه غرور انساني متكبر . لانه يذكرني بفكرة جاهزة المعالم اتخذ بها موقفا عاما في تحديد ما اريد قوله .

لم احب قبلك أحدا ما ، هكذا تريد ان ترن هذه العبارة في عمقك الاجوف - لتكون انت المساحة الكلية في ان تشغل كل عمري .

والحقيقة انني مررت بتجربة حقيقية النسيج ، فظيعة الهوس ، جمعت بها حروف الله في صحن بلور . غليه تراث انوثتي اليقظة . وطفولتي الحية ، ونضجي البكر ..

ترتعش عيناك الان بوميض شرس . تتقلص اصابعك على وريقاتي الشقراء هذه . كأنها دمية تود كسرها لترى اذا كنت انا بداخلها ام لا ..

تدق الجرس بعنف • يأتيك الخادم مسرعا • لتقول له • بعصبية فاجعة • - لماذا تأخرت ايها الملعون •؟

ينظر الخادم اليك في بلاهة خالدة • ينظر اليك بعطف ابوي لان له ولدا ربما سيكون مثلك يوما ما - - رئيس شركة كبرى - •

تصرخ مرة اخرى •

- هات لي فنجان قهوة بسكر قليل - اذهب بسرعة • غريب - اقول لك اذهب - •

ترفع رأسك عن كومة الاوراق الشقراء • لاترى احدا امامك •

تكرر قراءة الفقرة الاخيرة - تفوح منك رائحة شبق يحن لمضاجعه زنجية في الرابعة عشرة من عمرها في جسدها عطر امرأة • وطفلة •

تخرج علبتك الذهبية • تدخن سيكارة • توزع دخان سيكارتك في اركان الغرفة التي تحتلها في الطابق الثالث •

ترفع يديك الى وجهك ، تتحسس جبينك اللاهب •

يدق الخادم الباب • تقول له بهدوء غريب •

- ادخل •

يدخل الخادم • يحمل ما طلبته مع رسالة اخرى •• اوه انها مني • كتبتها لك قبل ثلاثة أيام • بعد رسالتي التي تعانق شرايين يديك •

يخرج الخادم بسكون بليد ••

تحاول فتح الرسالة الجديدة • لا تستطيع - شيء يشدك الى الرسالة الاولى - ترشف رشفة من فنجانك ، تعود لقراءة الرسالة الاولى مرة اخرى •

أجل لم تكن أنت أول رجل تختلج حوله رعشات جسدي ، ولا أول لهاث تحول ببطء الى شغف مذعور • ولا أول اصابع لامست سحق ذاتي الفوارة • ولا أول عين انصهر من ربيعها دمعا عتيق الجحيم •

انت لا تفهم ان تصادف امرأة تكون معك انيقة الصراحة • جريئة الفروع • تخرج معه - احيانا - يدخنان من علبة واحدة • يحترقان بكبريت واحد • لا يفهم نوع العلاقة التي قامت بينها وبين رجل آخر الا ولثغه الفراش تقرع رأسه •

انت لا تفهم ان تظل الانثى عذراء ، وقد ضاجعت الف رجل في كل يوم قبل ان تعرفه ••

انت تعبس • لا يهم عبوسك الان • قبل ان يتحول هذا العبوس بعد ذلك الى مرض تعاني منه شكوك ماضي لا يعبر عن احداث الحاضر •والمستقبل الذي سيضمنا يوما ما • بردائه الزجاجي النسيج •

لا تدهش يا عزيزي • ان استقر في مقعد مريح الجوانب ، اجلس عليه الان • اكتب لك طويلا كأنني افرغ من رحلة طويلة ادمت قدمي • لكنها لم تدم اصابعي ••

اخي نام الان • بعد سهرة قديمة لكتاب حديث (لكامو) • امي تطفىء سيكارتها لتصلب سيكارة اخرى ، حتى عودة ابي من « جامع الحي » مسكين ابي • انه مجنون بشيء يدعى « المسجد الكبير » انني اشفق عليه • اكره فيه هذه الذلة الهزيلة • انه يتفق معك يا سيدي • انت تصلي كل يوم جمعة في الجامع الاموي • كي تقنع والدك بكونك مؤمنا ، وهو يصلي كل يوم كي يقنع امي انه مؤمن • لكنه قطعا اطيب منك لانه يرفض جولة الندم في فضح اشياء تحت الرداء الكثيف القماش ••

لعلك رجل حساس لدرجة الهول • لكنك قطعا طفل مدلل مع فارق واحد ، انك طفل مفكك المظاهر •

لقد فكرت طويلا ان افرض عليك دوري الانثوي الاول • ان اعطيك ما ترغب به • وارتبط معك بنوع من العلاقة المعينة قد تنتهي الى خمود ابدي • وهذا منتهى الزيف الذي دارت فيه كل انثى رافقت ظمأك في كل شيء • للاسف لا احب تزييف وجداني لك • فهذا نوع من المخدر الذي لا احب ان اتخدر به حتى ولو كان حلو المذاق •

هل يحزنك قولي • وترتسم على وجهك تعابير تعيسة ، صامتة ، حشرت بين فكيك • ولكني اتهمك

بالجبن البليد لو اضطهدت ذاتك بمختلف الاساليب .

قد اتعب نفسي في اصلاحك . ولكنك لا تستطيع ان تصلح شقاء في شيء انضويت فيه . واخترته بفعل ارادتي .

ربما لا تتابع قراءة رسالتي هذه . فلم يبق فيها شيء من ابتكار قلمي الا شكلته لك .

احب وجهك الان . وقد احتقن بشبق نموذجي رصين . كأنك تهم ان تلقى برأسك بين ذراعي . وتقول لي في عنف .

احبك كما انت ، كما وجدت ، كما اخترت ، احبك لان آراءك مألوفة لدي . لكنني اخاف البوح فيها .

أبحث الان عن سيكارة . اجد علبة فارغة ، اذهب الى غرفة اخي . آخذ منه سيكارة . اعود مسرعة لانهي رسالتي لك .

احب رش الدخان في نهاية كل شيء .

لقد فقدتني يا عزيزي . كوني مغرورة اكثر منك . انت تريد قماشا اشقر اللون . نسيجه من ملاك لم يذق معنى الشقاء الانساني . وانا اريد قماشا فيه كل الوان الارض .

اتعتقد أنني أصلح أن أكون لك . ربما لو كبرت اكثر . اما ان اصغر أكثر فأصبح مثلك فهذا مستحيل .

ميادة ــ بغداد

حسان ..

لعلك تعتقد انني صغرت جدا . فكتبت لك مرة اخرى . ورسالتي الاولى . ربما ما برحت تعانق خشب مائدتك الابنوسية اللون . كل شيء فوقها موزع بمهارة وفن . كأنك اله ترتب نفوس البشر . ولكنك ككل اله تنشد الفوضى في اغلب الاحيان . فاذا كانت مائدتك تثير الاعجاب فلا يعني ان ذاتك هي ايضا تثير الاعجاب .

انا اشك الان . ان تكون مرتاحا الان راحة اسطورية الجوانب . اكاد اتبين القلق الجاف يرتفع سعيره الى عينيك ..

اضحك الان ــ فبعد ثوان او ايام ستلم الفوضى كل جوانب غرفتك بضمنها انت وشبابك ، واناقتك الرصينة .

انت شحنة عنيفة الانفجار . فتحس برغبة هائلة ان تمزق كل شيء يمر امامك حتى لحمك . وانا الهو الان في التلصص على أعضاء جسدي ــ اعيد له الدم بحركة غريزية . ارثي لك بأسف . اتأمل سأمك المنعزل . اود ان اساعدك فأنت ستبدو بعد ايام رجلا بلا اتجاه ولا منعطفات . رجل ينفذ مشروعا مروعا في هدم خرافة الرجل الذي يؤمن ان للمرأة ماضي . وماض بشع ايضا . تعالج لحظتك الاخيرة . بقرف ذاتي مباشر . تتسطح على لسانك اضواء دافئة . من انثى طمسها قمر بارد لا يحب وثنية الخلود ..

لسوف يرقص فيك شبق سائب الهوس . ينزف في داخلك دما لم يتكثف بعد .

انت كلك بحاجة الى تنظيم . كما مائدتك الان بحاجة الى فوضى .

عيناك تلوب الان فوق وريقاتي هذه ، تمتم برعب .

ــ انها شيطانة شديدة الخصب . تعرف ما اريد فعله فورا . انها الوحيدة التي ابدو معها « حسان .. الطفل المفكك الجوانب . انني اخافها واعبدها معا . انها مطافي الاخير » .

لكن اطمئن . لا احب رجلا يخاف انثاه مهما كانت ضخامة جثته .

هل تعلم ماذا افعل الان . انني ادير آلة التسجيل . لاستمع الى صوتك السوداوي الذبذبة . وانت تتأمل وجهي بمرآة عينيك . جسدك لفحه اعصار كئيب . انفصل عن جسدي بصمت وحشي .

ــ انت رائعة يا ميادة . انت تصميم الشخص الذي اريده . ان يكون ملكي الى الابد . يجب ان تعملي المستحيل كي تعودي الى دمشق .

وتحشرج الصوت الاقحواني التغريد ــ مرة اخرى ــ واصابعك تندس بلا حذر في شعري الخرافي الملون .

ــ يا لعظمة عينيك . ارى فيهما بئر حرمان

المطرة الاولى

بقلم : عبد المعين الملوحي

كنت في الدريكيش حين أمطرت السماء أول مرة .
عبد المعين

نحن الآن في مقهى العين في دريكيش ، في الساعة السابعة مساء ، الاطفال يعبثون بالعين ، والنساء يملأن جرارهن ، والبقرة تصعد من الوادي مندفعة مستقيمة تزاحم الاطفال والنساء معا فيفسحون لها الطريق ، ويضربها صاحبها ولكنها تظل تمشي ثم تشرب وترفع رأسها في عناد وتفتح عينيها في تحد وتلتفت كأنها بناء يتحرك ثم تمضي وقوائمها تشق الارض شقا وتترك آثارها والضحة في الطين ، ويبقى مشهد هذه البقرة دقائق في مخيلتك ولا سيما مشهد ثدييها وقد افعمها اللبن فتدليا وترجحا حتى كادا يمسان الارض .

القمر يمشي بين الغيوم سودا وبيضا في بطء وحذر ، يحاول ان يشقها شقا ، فيضيء جانب الغيمة بنوره الابيض ـ الاصفر فتلتهب جوانبها كأنها نار ، وتقول : ستلتهب كلها وسينتصر عليها ثم يتوارى وراءها مغلوبا مدحورا .

ورذاذ من المطر تحس به على وجهك ويدك ، ثم على رأسك ثم يشق طريقه بين شعرك ، وفي وجهي بثر يزعجني منذ أمس فأنا اتمنى ان تهطل عليه قطرة من المطر فتشفيه ، ولذلك فأنا ادير رأسي ذات اليمين وذات الشمال ابحث عن هذه القطرة الآسية .

كنت اتمنى أن أبقى هاهنا في مكاني استقبل أول مطرة تغسلني غسلا ، ان استقبال المطرة الاولى حلو ممتع ، تشعر انك تتخلى عن حياة وتدخل في حياة جديدة ، ما يزال الصيف في ابانه ، بل ان الحرارة تكاد تكون خانقة ، والارض من حولك ما تزال

مخيف . في ان يصبح كل شيء في العالم لك وحدك .
انت قديسة في معبد لفحه الشحوب الانساني بخطاياه المتكررة انت مجهولي الذي اريد الضياع فيه الى الابد .

انت .... انت .....

واخرست آلة التسجيل لانني لا اصدق حكايا الاطفال الصغار .

لقد صدق قولك . وعملت المستحيل في العودة الى دمشق مرة اخرى . سأكون في دمشق قريبا جدا . لا لالقاك هناك فأنت نافذة اطل من خلالها على ركب الجبناء الكثار في مدينتي الاخرى .

انت مجرم بلا دم مسفوح . ولا اشباح بشعة الظلال . تدب من جديد على ارض بكر ..

انت مجرم ذكي ، متمرد . تعرف كيف تقنع أهل ضحيتك بأن المجتمع هو الفضاء الذي سيردد معك اسطورة الحب العظيم الذي تحياه في كل ثانية لكل حب ضحية . وانا لا احب ان اكون عارية من الظل . لانني لا احب ان انتظر الرجل الذي احب خلف نافذة ارى كل شيء من خلالها بوضوح .

لقد خرجت من سمائي كما خرجت من ارضي . فأنا سأعود الى دمشق ذات مساء مرهق المأساة لاقذف من جديد حروفي الزيتية اللون الى ورق اسمر يعترض على قدري البطولي ضمن حواسي التي تعاني حكايا الحب ، والالم ، والحرية ، وكذلك الاسطورة الاليفة.

دمشق — عالية رمزي

اشجارها خضرا مورقة ، والناس لا يزالون خفاف الثياب ، والنساء المصطافات يمررن بك كالطيف واثبات كاشفات الصدور والزنود والفلاحات يمشين وقورات ثقيلات ، ومع ذلك فأنت تشعر انك في الشتاء ، وان المصطافين ينبغي ان يكونوا في بيوتهم ، وان المصطافات ينبغي ان يسترن زنودهن وصدورهن ، والمطر تكبر قطراته وتتتابع في ازدياد ، واصدقاؤك يلحون عليك ان تدخل الى بناء المقهى الحجري ، وانت تخشى ان يقولوا عنك : مجنون ، فتنتزع نفسك من كرسيك انتزاعا وترى نفسك بعد قليل سجينا بين جدران اربعة جالسا وراء منضدة وامامك صديق يدعوك الى اللعب بالنرد وانت تلعب في غضب وحنق فتغلبه ست مرات متواليات فينهض غاضبا حانقا مثلك ثم تغلب زميله اربع مرات فينهض قبل ان يتم اللعب غاضبا حانقا وانت تصغي بين هذا وذاك الى صوت المطر ينهمر انهمارا والميازيب تنسال انسيالا ، وتتمنى ان تغتسل بماء هذا الميزاب ، وان تضع رأسك تحته ولكن الرعد يدوي فيوقظك من حلمك ويردك الى واقعك .

وتحمل اليك الريح رائحة الارض الندية فتشق طريقها الى انفك والى روحك فتهزها هزا .

ليس في الوجود شيء اطيب رائحة من الارض حين يبلها الغيث الاول ، انك تشعر ان هذه الابخرة التي تتصاعد منها جزء من نفسك لا يتجزأ ، وربما احسست ان هذه الابخرة هي التي كونت البذرة الاولى من الحياة في عصور الرطوبة البعيدة ، ليتنا نستطيع ان نصنع هذه البذرة ، اذن لانحلت مشكلة الحياة وعرفنا الحقيقة التي ما نزال نقتتل ونحن في قتالنا لا نبحث عنها لنكشفها بل لنخفيها .

ما احلى رائحة الارض بعد المطرة الاولى ، لكأنها تحمل الينا رائحة الملايين الملايين من اجدادنا وامهاتنا ممن دفنوا في التراب ثم استحالوا الى تراب ثم اصابهم المطر فأصبحوا رائحة طيبة وشذى اعطر من شذى الازهار .

ليس شيء اطيب رائحة من الابخرة التي تتصاعد من الارض عند المطر الاول ، انها تذكرك بأصلك فتحن اليه حنينا .

واخرج من السجن فأرى الغيوم وقد انقشعت عن القمر فبدا كالمنتصر ـ المنهزم ، بدا منتصرا لانه مشرق باسم ومنهزما لانه اصفر لئيم .

والسواقي تجري في الطريق الترابية هنا وهناك مرحلة قائمة ، والحصا يبدو في مجاريها ابيض نظيفا ، والاطفال يتركون العين ليطمسوا فيها ويغيروا مجاريها، ويرش بعض بعضا بمياهها ؟ ليتني كنت طفلا .

اعبدك ايتها الارض ؟ اعبدك ايتها الام العزيزة : انت التي تهبين لنا خيراتك العميقة ، فلا نهب لك العمل الذي يليق بك وانما يدنس ترابك الطاهر ايدي المستعمرين الآثمة فتقتل الاطفال الرضع والامهات البريئات في كل ارض تطلب الحرية ، وتأبين ان تشربي دماءنا فليس شيء اقذر عندك من الدم فأنت لا تمتصينه ابدا ، بل تتركينه للشمس تجففه بحرارتها وتشهد لك بما في صدور المستعمرين الذين حكم عليهم التاريخ بالموت ، ويريدون ان يحكموا على التاريخ بالموت من قسوة ووحشية .

اعبدك ايتها الارض واسجد لك واقبل حجارتك، واغتنم غفلة من اصدقائي فأختلس قبلة من جدار وتقبلني المياه التي ما تزال تسح فوقه .

واهم بالسجود لاقبل الارض وارى الانظار ترمقني : ايمكن ان يسجد هذا للارض ؟ .

واحس بيد تمسكني من يدي وتجرني الى البيت جرا وتحدثني عن طعام العشاء .

ويصحو السكران برائحة الارض من سكرته ، فيصعد الى سطحها بعد ان كاد يغوص في اعماقها .

عبد المعين الملوحي

الشهيد

شعر : ياسين الفرجاني

الى روح الشهيد البطل اسعد عمير بمناسبة ذكراه الحادية عشر

ذكـراك فيض سنى ونفح أقـاحي — في موكب الامسـاء والاصباح ...
أمضي فأسأل عنك في غسق الدجى — درب الشهاب الخـاطف اللماح ...
وأمـر بالساحـات حمـرا علني — ألقـاك بين قواضب ورمـاح .!؟
أيام تزحـم كل أفـق صـاعدا — وتبز للعليـاء كـل جنـاح ..!
ويعود بي أمسي فـألمح طيفـه — دنيـا شبـاب هانىء ممراح ...
صـور تلوح لناظري ورؤى لهـا — مثل الـرفيف بقلبي الملتـاح .. !

* * * *

حييت عروس (١) البيد فيك شهيدها — وبكت صبـاك بدمعها السحاح ..
حـزن يلف طلولهـا وكـآبـة — تغفو عـلى جنباتهـا ونواحي ..
ومشـت وراءك والقلوب حسيرة — ولهى تشـيع موكـب الجحجاح ..
فـكأن من حوليـك آل سميذع (٢) — حملوا أذنيتهم (٣) عـلى ألواح ..!؟

* * * *

لله درك حـين وافيـت الوغـى — في فتيـة بيض الوجوه ، صباح ..
أقدمت موفور الابـاء وكنت في — دفع البـلاء تصيب كل نجاح ..!
تلقي بنفسـك في المهالك زائرا — أنى له في الروع كبح جمـاح ..!؟
حتـى اذا حم القضـاء تـكاثروا — ومشوا اليك بخدعـة وسلاح ..!؟
فـسقطت تحتضـن الثرى وتضمه — ومن الدماء عليك فضل وشاح ..!؟
نشرتهـا نورا كطلعـة فجـره — وشذى كعرف ربيعـه الفواح .. !
شرف الشـهادة ان تموت على اللظى — ودماك تسقي ظامىء الصحصاح ..!؟
والموت أسـمى ما يكون شهـادة — في ونيل حق تبتغيـه صراح .. !

* * * *

أيـار من بـين الشهور مفضل — أيار شهـر كرامـة وسمـاح ..!
لشهيـده في الخـالدين مكانـة — كـرمت بجنـات كرمن فساح .. !

مرت يـد الرحمن تمسح بالرضى — واليمن جـرح جبينـه الوضاح ..
ومشت ملائكـة السماء تزفـه — بمواكب الابـرار و الصـلاح ..

* * * *

ترب الصبا عاد الربيع ولم تعـد — في موسـم الاعراس والافـراح ..؟
وتمزق الشـمل الجميع واصبحت — قفـراء دنيـا أيكة وصـداح ..!؟
والحي بعدك قد خـلا من سـامر — في الحي غـداء بـه رواح ..!؟
أين الـرفاق فقدتهم في غائـل — مستعجم غال الحمى ، مجتـاح ..؟
تـأبى الكرامـة ان تهون بأنفس — وتهون في اخرى - تذل - وقاح ..؟!
زعموا وكل الزعم حقـد قاتـل — ان الامور بحـاجة لصـلاح ..!؟
لو حاولوا اصلاح انفسهم لكـان — الخير كل الخير في الاصـلاح ..!؟
بعث العروبة في الرقـاب أمانـة — حقت على أحرارهـا الاقحـاح ..!؟
ان العروبـة ايـة أسطارهـا — مكتوبـة بمفاخـر وطمـاح ..!؟
آمنت فوق المؤمنـين بهـا هـدى — وعلى هواها قـد وقفت كفاحي ..!!
مجـدي وماضي البعيد وحاضري — وغـدي المنير وعـزتي وفلاحي ..!؟
كتب الخلود لامتـي وعـروبتي — ولموطني وشهيـدة في السـاح ..
بأبي الشبـاب الحاملين دمـاءهم — في غمـرة الاحداث فوق الراح ..!

* * * *

المؤمنـين بوحـدة ورسـالـة — هي من صميم تراثها النفـاح .!؟
السـاهرين على حمـاية ارضهم — من غـاصب جان ومن سفـاح ..!؟
الحـافظين على مكاسب شـعبهم — للعاه ل المهضـوم والفـلاح ..!؟
قم وانظـر الزحف المقدس هـازئا — بعواصـف مـأجورة وريـاح ..
زحف العروبـة لن يعيق مسـيره — أبـدا فحيح أو سعـار نبـاح ..
زحف بـه وطني الكبـير مـؤزر — بالنصر مـلء مـرابع وبطـاح ..
وطني فـدته وتفتديـه قوافـل — بالمـال والاولاد والارواح .. ؟

* * * *

يا أيهـا البطل الشهيـد تحيـة — عطـرية النفحـات كل صباح .. !؟
هـذي جراحي مثخنـات كلمـا — آسيتهـا ثارت علي جراحي . !؟
في كل عـام لي بقبـرك وقفـة — خرسـاء تنطق في بيـان فصاح ..
والدمع من عـين الشجي اذا همـى — يغني عن الايمـاء والافصـاح .. !؟

---

(١) تدمر (٢) العرب التدمريون (٣) ملك تدمر العربي

يا سين فرجاني

المهرجان «١»

لجبران خليل جبران

قدمت الى المهرجان غادة من ضواحي المدينة ، وكانت في غاية البهاء • كان الزنبق والورود في محياها ، وكان الغروب في شعرهـــا ، والفجر مبتسما على شفتيها •

وما كادت الغريبة الحسناء تظهر لمرأى الشبان ، حتى شرعوا في طلبها والاحاطة بها • فالواحد منهم يراقصها ، والآخر يود قطع الكعك على شرفها • ورغبوا قاطبة في لثم وجنتها • فبعد كل ذلك ، أليس هم في مهرجان ؟

لكنها صدمت وأصابها الذعر ، وساء ظنها في الشبان • لقد انتهرتهم وحتى أنها صفعت وجه واحد منهم أو اثنين ، ثم فرت من بينهم •

وفي الطريق الى بيتها ذلك المساء ، كانت تقول في قلبها : « اني مشمئزة • ما أقل أدب هؤلاء الرجال ، واسوأ تربيتهم ! انه شيء فوق ما يطاق • »

وانصرمت سنة ، فكرت خلالها كثيرا ، نفس تلك الغادة الحسناء ، في المهرجانات والرجال • وبعدها جاءت المهرجان ثانية ، بالزنبق والورد في وجهها ، والمغيب في شعرها ، وبسمة الفجر على مرشفيها •

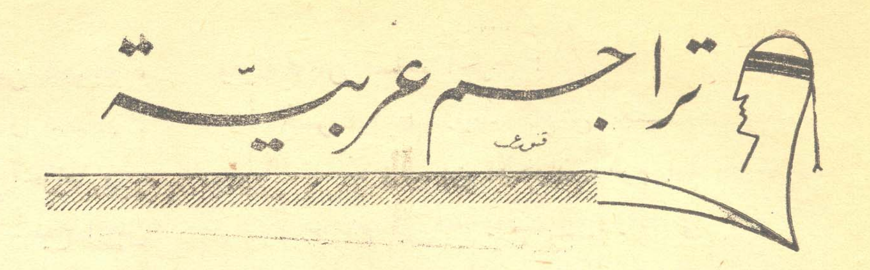
لكن الشبان ، وقد أبصروها الآن ، انصرفوا عنها ، ولم يبحثوا عنها طوال النهار ، وكانت فريدة •

وعند المساء ، وبينما هي تقطع الطريق المؤدي الى بيتها ، بكت في قلبها تقول : « اني مشمئزة • ما أقل أدب هؤلاء الشبان ، وأسوأ تربيتهم ! انه أبعد مما يحتمل • »

بغداد ترجمة : يعقوب قرام منصور

---

(١) قطعة من كتاب جبران (التائه) الموضوع بالانكليزية والمعد للطبع مترجما الى العربية •



الشيخ صالح العلي

بقلم: جميل حسن

(ثورته من شعره)

بين يدي مجموعة صغيرة من قصائد للمجاهد المرحوم الشيخ صالح العلي . نشرها وقدم لها شاعر الجبل الاستاذ محمود صالح . وفي ذاكرتي ، وفي خيالي الكثير من الاخبار والصور عن ثورة هذا المجاهد الكبير الذي كان أول من أطلق رصاصة في وجه الغازي الفرنسي ، وآخر من قبل بالامر الواقع ، فهادن المستعمر . بعد أن كان قد استقر به المقام في البلاد ، وخمدت كل حركات المقاومة ضده .

ويرجع عهدي بأخبار الثورة في جبال العلويين .. الى أيام الطفولة ، حيث كان جدي وأبي يرويان لنا أخبارها بصورة شبه محايدة . أي بمنطق من كان يرى ويتفرج دون أن ينحاز عمليا الى أي من فريقي القتال !. وان أبرز قصة رويت أمامي ، فيما أذكر ، كانت قصة حملة فرنسية كبيرة ، بالغ أبي في وصفها ، وصلت الى قريتنا « عين شقاق » في منطقة « جبلة » واتصل قائدها بالمرحوم « نصور حسن » وجيه الناحية يومذاك ، فسأله عن الثوار في منطقته ، فأجابه بأن لاعلم له بوجود ثوار .. وكانت النتيجة أن تقدمت الحملة مكشوفة ففاجأها عدد قليل من الثوار في (ضهر عين شقاق) مزقوها شر ممزق !. ويبالغ المحدثون في تعداد القتلى والجرحى ، وتصوير الهاربين المدحورين من الفرنسيين .. مما يوحي بأن عواطف الشعب كله كانت مع الثوار .

ثم عينت معلما في عام واحد وخمسين وتسعمئة وألف في قرية « بشراغي » القرية التي كانت المعقل الكبير للثورة في قضاء « جبلة » . وسمعت أنباء الثورة مفصلة يرويها لي الاشخاص الذين خاضوها من بدايتها الى نهايتها من أبناء قرية « بشراغي » والقرى المجاورة . ووقفت على المقبرة التي ضمت أجداث القتلى من الفرنسيين الذين سقطوا في معركة « عين فتوح » الشهيرة . والمقبرة كائنة فوق وادي « عين فتوح » الذي جرت فيه المعركة .

وقد قامت في ذهني فكرة تأليف كتاب في موضوع الثورة .. ولكنني ما كدت أمضي قليلا في الاعداد له حتى تعثرت ، ووجدت الدرب شائكا والقضية صعبة ، وأن علي - ان أنا اخترت الاخلاص للحقيقة - أن أتحمل نقمة أناس كثيرين .. منهم من كان ضد الثورة حتى آخر طلقة ودس نفسه في طليعة المجاهدين ، والاخلاص يدعو الى كشفه وتعريته .. ومنهم من كان عالة على الثورة أي كان محسوبا عليها دون أن يقدم لها شيئا .. ومنهم من استغل صلته بالشيخ فأساء الى الثورة والشيخ معا .. ومنهم من سيرته المنفعة والنعرة العشائرية .. ومنهم .. ومنهم .. ولذلك فقد أجلت المشروع دون أن ألغيه . أجلته لاتمكن من تهيئة المادة العلمية الصالحة لتأريخ الثورة الكبرى التي لم تنل عشر ما تستحقه من العناية والجهد ، خصوصا وأني وجدت تناقضات كبيرة بين آراء الثوار رفاق الشيخ والذين كانوا من حولهم ، وسمعت شكوكا تثار حول ما كتب

عن الثورة ، واتهامات ، لا أعلم مداها من الصحة ، لكتاب معين ألف عن الثورة تطعن في صدق المصادر ، وثقة الاشخاص ، وتمحيص المعلومات التي حواها .

وأنا ، في هذه الكلمة العجلى ، سأستميح الناس جميعا عذرهم بأنني سأكتب ، عن الثورة ، من خلال شعر الشيخ .. هذه المرة ، مرجئا الكتابة التاريخية الى حين آخر أرجو أن أكون قد تمكنت فيه من جمع أوثق المعلومات وأدقها وأكثرها علمية وصدقا .

المجموعة مؤلفة من احدى عشر قصيدة مع بعض المقطوعات . منها عشر قصائد في موضوع الثورة ، وواحدة يرثي بها بعض المشايخ . وهي — وقد شهد بصحة نسبتها الى الشيخ كل من يعرفه ، وكذلك عنايته الكبرى بقضية المعرفة واقتناء الكتب الثمينة — أوثق مصدر للحكم على أسباب الثورة ومراميها ، كما أنها تعطي فكرة واضحة عن موقف بعض الناس من الثورة . وكذلك تنسف الاعتقاد الشائع عن أمية الشيخ ، وترد التهم التي يرددها بعض المغرضين القائلين بأنه لم يكن يحارب لهدف واضح أو لغاية وطنية ، وأن الثورة تطورت مع الاحداث دون أن يكون له سابق تصميم او عزم على توجيهها هذه الوجهة أو تلك .

والى القارىء — فيما يلي — بعض ما أمكنني استخلاصه من قصائد الشيخ ، والامثلة الدالة من شعره :

١ — كان المرحوم الشيخ صالح يحارب بعقلية مسلم مؤمن يعتبر الثورة جهادا .. فمن ذلك قوله :

رب ! يا خالق السماوات والارض
ويا رازق الورى والعباد ..
برسول الهدى المشفع طه
وبني فاطم بدور الرشاد
كن معيني ، واشدد بحولك أزري
واكفني ، يا حفيظ ، كيد الاعادي

وقوله ، من قصيدة يذكر فيها غزوة فرنسية :

وكانوا كجيش الفيل بأسا ومنعة
ولكن حزب الله غادرهم عصفا
كستنا يد الاقدار برد عناية
من الله لم يحذر بها الواحد الالفا

وقوله ، من قصيدة أخرى :

فسرت اليهم رابط الجأش باسلا
بحزب من الاخوان أكرم بهم حزبا
جهادهم في الله والدين والحمى
وحاشاهم أن يبتغوا النهب والسلبا
وكل فتى منهم بصدق يقينه
من الدين والايمان قد ملأ القلبا

(يلاحظ في البيت الثاني كيف أنه يدفع التهمة .. تهمة النهب والسلب ، التي كان يحاول أخصامه أن يلصقوها به ليبرروا تخذيلهم عنه وتعاونهم مع الغازي) .

٢ — وقد كان الشيخ — رحمه الله — الى جانب اسلامه وتدينه ؛ مؤمنا بالقومية العربية ، داعيا لها ، عاملا لرفع شأن العرب . مستوحيا جهاده من تاريخ البطولات العربية ، وأخبار العزة العربية والاباء العربي . فمن ذلك قوله :

تتنزى حمية العرب الاحرار
بركان عزة في فؤادي ..

وقوله ، في « يوم فتوح » : مخاطبا رفاقه المجاهدين :

صونوا البلاد من الدخيل وشيدوا
صرح العروبة شامخ البنيان

وقوله ، في قصيدة بعنوان « تحية الشرق » :

أين الألى دانت الدنيا لسطوتهم
وانحط ، في عزه ، عن مجدهم زحل
اليعربيون جل الله فاطرهم
من ذكرهم في سماء المجد متصل

وقوله ، في قصيدة « الفخر والمجد » : وفي القصيدة شحنة عاطفية عارمة تذكر بأيام العرب الاولى :

يا أمة العرب هبوا من سباتكم
فما عملت لهذا النوم من سبب
الروض روضكم ، والحوض حوضكم
والواردون سواكم . يا لذا العجب
هبوا الى المجد لا خوف ولا رهب
فلتبرأ العرب من خوف ومن رهب
لا يفخر الاجنبي المستبد بكم
الفخر والمجد والعلياء للعرب .

٣ - وفي القصائد وثيقة هامة عن بداية الثورة ، تدفع - في رأيي - كل شبهة عن دوافعها وغاياتها . فرأت ذلك في القصائد ، وكتمته .. ثم سألت بعض الامين الذين رافقوا الشيخ من أول ثورته ، فرووا أخبارا ، بسذاجة وصدق ، تتفق حرفيا مع مافيها. قال لي أحدهم ما يلي :

لقد اصطدم الشيخ - رحمه الله - بالاتراك ، في أواخر عهدهم ، وقتل منهم ثلاثة أنفار من الدرك كانوا قد أساؤوا الى حرمة منزله في قرية « كاف الجاع » . وصمم على متابعة المقاومة لولا ان الثورة العربية اعقته منها بطرد الاتراك نهائيا من البلاد . غير انه جمع بعضا من وجوه ناحية « الشيخ بدر » وشيوخها وشبانها ، بعد خروج الاتراك بقليل ، وقال لهم حرفيا : (لقد ذهبت تركيا واتتنا دولة اجنبية جديدة اشد خطرا واكبر أذى .. هي فرنسا) . وكان القوم يجهلون كل شيء عن فرنسا ، فقال لهم : (انها تهدم الجوامع ، كما فعلت تركيا ، وتفضح الحريم ، وتنشر الذعر في البلاد). فسأله الحاضرون : وماذا نحن فاعلون ؟. فأجابهم : (علينا ان نموت بشرف ، ولا أن نحيا بذل . فليسارع كل منا الى جمع المال من اي سبيل !. بع ارضك !. بع بقرك !. زوج بنك !. ارهن بيتك ، واشر بندقية وذخيرة !.) . وهكذا كانت الثورة ، منذ البارقة الاولى ، في ذهن قائدها ومعاونيه ، بدافع من الشرف والاباء . وكل تفسير غير ذلك هو محض افتراء وتجن على الحقيقة والتاريخ .

واضطر الشيخ ، بعد ان رفض دعوة الفرسيين للاجتماع به والتفاهم معه ، ورفض توسط بعض زعماء العشائر ، اضطر الى ان يتخفى فترة لجتمع بذوي الحمية والرجولة من ابناء الجبل ، وكان قد اصطدم مع الفرنسيين اصطدامه الاول شرقي قريته « الرستن » الواقعة فوق قرية « الشيخ بدر » تماما . وعرف كيف توزن القوى ، خصوصا وانه هزم الفرنسيين في غزوتهم الاولى المذكورة ، بنفر قليل من رجاله ، وصمم على أن يخوض حربا تتسع في المكان لتشمل الجبل كله وتتصل بأبناء الداخل فتؤلف قوة قوية ترد الغزو ، وتتسع في الزمان فتمتد المقاومة حتى يقضي الله امره بالنصر . واليك مصداق هذا في قصيدته « يوم فتوح » التي تذكر الموقعة الشهيرة في الجانب الشرقي من قريه « بشراغي » في قضاء « جبلة » عام ١٩١٩ !. قال :

ما كنت أحسب ان ارى بهوان
يوما وان يعدو علي زماني
حتى نزحت عن الديار وصاحبي
عقل الكهول وهمة الشبان
وغدوت مطرود الزمان ، ولم اكن
يوما على الوطن العزيز بجاني
وغدت بلادي شاغرا من مخلص
حام يحب كرامة الاوطان
حتى نزلت ، من البلاد ، بفتية
بيض الوجوه ، أعزة ، غران
شم الانوف ، يزين قوة بأسهم
جبل منيع راسخ الاركان
لما دعوتهم لنصرة دينهم ..
قام الجهاد ، وباسمهم لباني

٤ - والثورة كانت من اجل رد العاديات عن الوطن ، وحفظه عزيزا مكرما منيع الجانب . والشيخ - رضي الله عنه - كان يحس بتبعة الوطنية ملقاة على كاهله بكل ثقلها . وقد نهض يؤدي رسالة الوطنية الى وطنه المهدد ، فيقول ، مخاطبا بني قومه :

دافعوا عن بلادكم يا بني الشرق ،
وسيروا الى العلا باتحاد
ان أوطانكم تئن من الاسر ،
وثقل القيود .. والاصفاد

ويقول ، من قصيدة ، مشيرا الى عظمة المسؤولية :

لا يغفر الوطن المحبوب زلتنا
ان لم نجاهد رجالا مجده خذلوا
صونوا البلاد بأرواح غلت ثمنا
فانما قيمة الاحرار ما بذلوا

ويقول ، من قصيدة اخرى :

الهي !. بلادي تستغيث بحولك العظيم ، فنولها السعادة واللطفا

وذمـة اوطـاني لـدي وثيقـة

ومثلي يا مولاي بالعهد من اوفى ٠

٥ ـ وقد كان ـ رحمه الله ـ مدركا ، منذ الخطوة الاولى ، ان نصره معلق بتماسك الشعب ووحدة كلمته. وقد حدثني أحد أتباعه ان الشيخ قال لهم في أول اجتماعه بهم : (قولوا لي قبـل ان نثور !٠ كيف عزمكم ؟٠ أنا لا استطيع لوحدي ان احارب دولـة كبرى) ٠ واخذ منهم ميثاقهم جميعا ٠

وفي هذه القصائد يأتينا مصداق هذا ٠ فالشيخ يدعو الكل الى التضامن ، ويؤكد لهم ان لا كرامة مع التفرق والتخاذل ٠ ويضرب لهم الامثال في ذلك ٠ فيقول من قصيدة :

صونوا البلاد من الدخيل ، وشيدوا

صرح العروبـة شـامخ البنيـان

لا تفشـلوا عند الصدام ، ولا تهـوا

كـي لا نـؤول لـذلة وهـوان

ان التعـاضد خـير مـا ترجونـه

حزم الرجـال وعـزمهم صنوان

كم قد رجوت بـأن تسـيروا للعلا

متعاضدين تعاضد الاخوان

ماذا عليـكم لو تعـاهدتم عـلى

دفع العـدو كأمـة اليـابان ؟٠

٦ ـ وفي كل قصيدة من قصائده نسطيع أن نتأكد من وجود متآمرين على الثورة ٠ ووجودهم كان يحز في نفس الشيخ لان منهم من باع الاجنبي شرفه وكرامته ووطنه بثمن بخس ٠ ومنهم من قدم حقده على الشيخ وحسده اياه على مصلحة الوطن !٠ وكل أولئك وهؤلاء كانوا عاملين على اضعاف الثورة وايقاف تقدمها ٠ وقد كان ـ رحمه الله ـ حانقا عليهم ، غير راحم لهم في نقمته وثورته ، مستعينا عليهم بالله وبشدة بأسه وتمسك اخوانه معه ٠ وقد نراه ، مع ذلك يترفق بالقول أحيانا وان كان يحمله اشارات الغمز القاسية ، من مثل قوله :

طـال عتبي على كـرام بهـاليل

مـن الشـعب أخلفوا ميعـادي

ولكنه كان قاسيا عظيم القسوة في معظم ما قاله ، كقوله مثلا :

يخادعنـا بعض اللئـام بمكـره

ويحسـب أنا لا نحيط بـه عـرفا

يريد بفعـل المكـر نصر عـدونا

وهيهات ليس المكر عن صالح يخفى

واعلـم من يصفي الوداد لشعبـه

ومن وده ، مهمـا تودد ، لا يصفى

وكانت تبلغ به ثورته احيانا حد القهر والمرارة فينفث نفثا تاليمة صارخة ، توحي بالضيـق ، والعنت اللذين كان يعانيهما في بعض الاحيان ، كقوله :

أشكو الى الله ما القـاه من وصب

من هـارج مـاج بين الجد واللعب

خان الزمـان فلا خل أخو ثقـة

يرجى لـدى حادث الايام والنوب

وقـد تراكم بالفسـاق مشـتبكا

هذا الفسيح وبالاحقـاد والكـذب

فالليث ينظر شـذرا في مرابضـه

والنمر يرمقهم في ناظـر الغضب

وفرصة للذئاب الطلس قد سـنحت

والفتك غـاية ما تبغيـه من أرب

وما كفيت أذى حتى الكلاب غـدت

ولاغـة في انـاء الأري والضـرب

تتيـه كبرا وتمشي في تبخترهـا

مختـالة ، وبهـا داء من الكلب

يا للأسى ! تلبس الايـام زينتهـا

لغـير أهل التقى والفضـل والادب

هان الكـرام فذوبي يا قلوب جوى

واصبح اللؤم في عال من الـرتب

اقرأ معي هذه الابيات ، وانظر اذا حوت من ألم الشيخ ونقمته ٠ ثم اسمع هذه الدعوة الخارجة من أعماق قلب مجروح ، على المتاجرين والمنافقين :

فسحقـا لمن باع البـلاد بدرهـم

ليلبس من اموالنا زوجـة شنفا ٠٠

وتابـع نهج الاجنبي ، مقوضـا

من الشرق مجدا فوق هام السهى حفا

٧ ـ وهو ، مع ذلك كله ، كان واثقا عظيم الثقة بنفسه وبأعوانه ، حتى لقد بلغت به ثقته حدا جعلتنا تتذكر ايام العروبة الاولى في مواقع جهادها لاعلاء كلمة الله في مشرق الارض ومغربها • وقصائده تفيض بهذه الثقة ، وتهدر بصوته الكبير معلنا ثباته وجرأته ، فاسمعه يقول :

أبت همتي والمجد والعز في دمي
اباحة اوطاني لأيدي العدى نهبا
اذا رامها ذو شرة بعتوه
أجرد من عزمي لمصرعه غضبا

وأستنكف الورد النمير بذلة
وانهله يوم الوغى باردا عذبا

اذا قام سوق الحرب واحتدم الوغى
وجروا جيوشا تملأ الحزن والرحبا

مشيت للقياهم بكل مجاهد
شجاع قوي القلب لا يرهب الحربا

نغادر أشلاء الجموع طريحة
كأعجاز نخل راعها عاصف هبا •

ـ واسمعه كذلك يهدر مذكرا بالاشاوس من قادة الفتوح العربية :

يا جلال التاريخ في صفحات المجد
خلد عنا حديثا مترجم

من رأى مثلنا وللموت سلطان
فناء على النفوس تحكم

نتبارى الى الحروب ولا نرهب
موتا حيالنا يتجهم ••

ونغذيه من نفوس الاعادي
فوق ما يبتغي غذاء فيتخم

ألف الموت خربنا وسباع البر
والطير من فصيح واعجم

حيث سرنا تظل موكبنا الطير
وتقفو الوغى فرادى وتوأم

قد كفلنا أقواتها ، وأزلنا
سغبا من أذاه كانت تألم

صفحات التاريخ بيضاء كالصبح
بضاحي جهادنا تتبسم

لا وقى الله يا فرنسا سراياك
من الموت !• لا حمى !• لا سلم !•

كيف تبتغين صالحا ؟ أعداك
الرشد ، أم غرك الزمان وندم ؟•

ذاك وادي جهنم فاصطليه
وانهلي ان ظمئت صابا وعلقم

٨ ـ وقد أظهرت القصائد جانبين اساسيين من الجوانب العديدة التي امتازت بها ثورة الشيخ صالح العلي :

أ) اما الجانب الاول فهو ادراكه لحقيقة النوايا الاستعمارية ، وعرفانه الاكيد لاساليب المستعمرين الجهنمية ، باعتمادهم على مبدأ « فرق تسد » ، ورده الحاسم على هذه الاساليب البذيئة • ومن الامثلة على ذلك قوله :

يا فرنسا أبيت الا قتالي
وبهذا قضى الاله وقدر

وملأت البحر الخضم سفينا
ورحاب الربى عتادا وعسكر

ومن الطائرات قد أقتم الجو
وكادت شمس النهار تكور

وبذرت الشقاق بين شقيقين
فذا مسلم وذاك تنصر

وظننت الامر استتب فذوقي
شر ما قدمت يداك مكرر

يا بني امتي نصيحة خل
مخلص في أموركم قد تبصر

لا تضيعوا الوئام لا تضمروا الحقد
فعقبى الشقاق ذل مقرر

وفي هذه القصيدة فكرة لو أشرقت في كل نفس عربية لبلغنا من الحياة أعز المنى • ونراها في قوله :

وثبة للعلاء يا أمل الشرق
فما الحر غير من يتحرر !••

مرة أخرى نقول ، مع الشيخ الكريم : فما الحر غير من يتحرر • وندعو ابناء وطننا جميعا الى جعلها عقيدة تعيش في دمائنا وتنبض في أعصابنا ، نبني عليها أحلامنا الى غدنا المرتقب •

ب) واما الجانب الثاني فهو ابراز الآمال العريضة التي كانت تراود نفس الشيخ وآماله في غد مشرق ، وحضارة مزدهرة تعيد سالف الامجاد ، والاعتقاد الراسخ في ذهنه بأن الامة التي تريد ان تبني كيانها وتعلي شأنها وتحتفظ بمكانتها المرموقة بين الامم لا بد له امن الاخذ بمبادىء الكرامة والتعاون والبذل المستمر • وهو ـ رحمه الله ـ كان ذا علم بما حصله العرب من التقدم والازدهار ، ويقين من ان العرب لا يمكن لهم ان يصلوا ما وصل اليه الغرب الا بأن يستعملوا طرائقه العلمية ، ويقدموا تضحياته في سبيل المعرفة والمدنية • فمن ذلك قوله :

يا امة الشرق ، يا اسلام ، حسبكم
هذا التخاذل والاهمال والكسل
هبوا الى المجد ، يا قومي ، فما برحت
تهفو لمجدكم التيجان والحلل
هلا نظرتم لما في الغرب من سنن
كل به سائر طلقا ومشتغل
لا يبتغون سوى نيل العلا املا
ولم يكن لسواكم ذلك الامل
ماذا أقول وقد فازوا به وغدا
لنا بمضماره الخذلان والخبل ؟•

٩ ـ وقد كان ، غفر الله له ، متفائلا بالمستقبل ، واثقا من النصر ، يدعم تلك الثقة وذلك التفاؤل بصدق ولائه لله واعتماده عليه • وكذلك بما يعلمه من تاريخ مجيد للعرب لا بد وانه سوف يتجدد مهما تكن عوادي الدهر ونوازله • انظر ، مثلا ، الى هذه الصيحة المتفائلة الواثقة المطمئنة يوجهها الى فرنسا :

يا فرنسا لا ترومي شرقنا
انه الغيل ، وفي الغيل أسود
سوف تلقين من العرب وقد
أجمعوا رأيهم يوما شديد
يا فرنسا انه الدهر وما
برح الدهر : هبوطا وصعود
خففي من جبروت ظالم
انما أمجادنا سوف تعود •

والى قوله :

هل الشرق الا مشرق النور والسنا
وروض البها المعطار والمربع الخصب
هل الشرق الا النجم عزا ومنعة
يطل على الدنيا وادراكه صعب
تراث الكماة اليعربيين لم يزل
منيعا فما تنوي على الشرق يا غرب

١٠ ـ والرجولة الواعية ، والشجاعة الصادقة أميز ما امتازت به ثورة المرحوم الشيخ صالح العلي • فهو عربي يحب وطنه ، وهو مؤمن مسلم ، يرى في الجهاد احدى الحسنيين ، ايهما كانت هو بها راض وبما يناله منها قانع • فاما انه يحمي حقا للوطن بجهاده ، أو يدفع بلاء وكيدا عن دينه • وكلا المطلبين خير يرجوه :

بني الشرق ان الغرب ينظر نحوكم
بعين من البغضاء قد ملئت أذى
أيا أمة الاسلام هبي وجاهدي
وكوني بعين الغرب يا أمتي قذى
فان يك من حق البلاد جهادنا
فخير ، وان عن دين طه فحبذا

كلمة ختامية

بعد أن طفت بالقارىء في شتى قصائد المرحوم

الشيخ صالح العلي ، واستجليت واياه بعض ما فيها من روح عربية صافية واعية مؤمنة ، وعزيمة قوية صلبة .. أعود به الى التساؤل : ترى هل هذا الشعر للمرحوم ؟ . أم انه نسب اليه نسبة ؟ أم انه قال بعضه ، واستعار بعضا ؟. أم ان رواة شعره نسبوا اليه بعض هذا الشعر حيث رأوا عنده بدايات لقصائد جميلة تركها المرحوم مسودات فأحبوا ان يكملوها ويجعلوها ترى النور ؟.

ذلك ما لا يمكنني القطع به نهائيا لاسباب عدة ابرزها :

١ - ان رفاق الشيخ الباقين ليسوا على حظ كاف من الثقافة والاطلاع . وبالتالي فهم لا يتذوقون الشعر الا تذوقا ساذجا وعفويا ، فهم اذن لا يستطيعون ان يعطونا الدليل القاطع على صحة نسبة الشعر الى الشيخ أو عدم صحتها . وجميع الذين سألتهم منهم قالوا انه قال هذه القصائد وقال سواها .

٢ - ان ما نسب الى الشيخ من الشعر الديني والاخواني غير معروف الآن . وقد وصلني منه حديثا بعض النماذج لم أتمكن ، بعد ، من دراستها ومقارنتها . وبالتالي لم أتأكد من صحة نسبها هي الاخرى اليه .

وقد قال لي بعض الزملاء ان الكثير من هذه القصائد مأخوذ من شعر المرحوم محمود سامي البارودي . ولما لم يكن في يدي للبارودي سوى ما كتبه عنه عمر الدسوقي في كتابه « في الادب الحديث » فاني لم أتمكن من تصديق هذا الزعم أو تكذيبه ، لان المروي للبارودي في هذا الكتاب لا يثبت الزعم . كما انني لم أمل الى نفيه نهائيا لسبب احتمال ان يكون الشيخ قد قرأ شعر البارودي وهو شعر سلس وقوي معا . وكانت قراءته مألوفة جدا من الشيخ .

كما أن البعض قال : ان بعضا من شعراء الجبل من شيوخ وشبان قد نظم بعض الشعر ونسبه الى الشيخ صالح . ولم أمل الى الاخذ كثيرا بهذا الرأي ، نظرا لما أعرفه من حب الشهرة عند أناس هذا العصر . فشاعر هذا العصر لن يجد أولى من اسمه اسما يكتب تحت قصيدته لتي نظمها . لذلك فانني لم أر من المعقول أن ينظم شاعر قصيدة وينسبها الى غيره .

بيد أني ، برغم كل الاحتياطات التي خطرت ببالي وأنا أدرس قصائد الشيخ ، أميل الى أن أعتبرها من شعره . وهذا لا يمنع أن يكون قد استفاد بعضها من شعر غيره من شعراء عصر النهضة . وان أقوى سبب جعلني أميل الى هذا هو ما عثرت عليه من الكتب التي كان الشيخ يقرؤها . فان قارىء هذه الكتب وأمثالها كان حتما ناضج الفهم ، ذواقة للادب العربي عامة وللشعر خاصة . والقريض سليقة أصيلة في أبناء هذا الجبل . يعرف عنهم هذه الخاصية كل من عرف هذا الجبل وعرف سكانه عن كثب . لقد رأيت في قرية « المريقب » مسقط رأس الشيخ عند بعض أقربائه بقايا ارثه من الكتب ، فكان بينها : لزوميات المعري وديوانه « سقط الزند » وديوان الشريف الرضي وديوان الفرزدق وذي الرمز والمعلقات العشر وغيرها من الكتب القيمة . وكلها كتب عليه / من كتب الشيخ صالح العلي / .

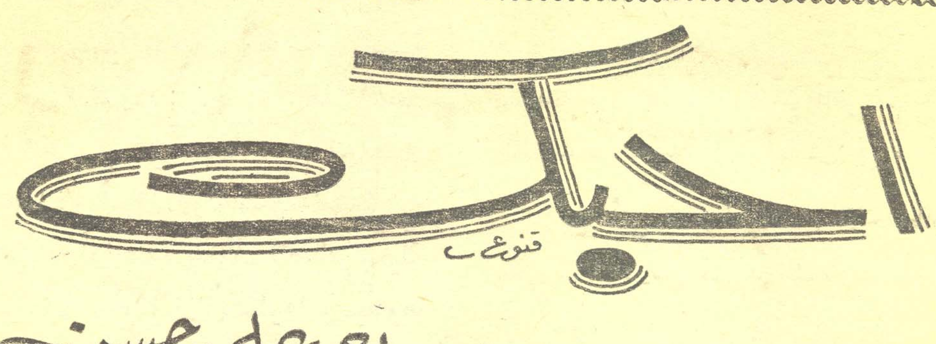
يضاف الى هذا ما قدمته من كون هذه القصائد تؤرخ مواقع الثورة . وتشرح بعض جوانب الحياة في مجتمع الجبل آنذاك .

فالى القارىء الكريم أسوق هذه المحاولة المتواضعة بمناسبة ذكرى ثورة المجاهد الاول الذي أطلق الرصاصة الاولى في وجه الغازي الفرنسي ، راجيا أن أشفعها بدراسة أعمق وأشمل وأوثق .

والى روح الشيخ الكريم تحية اعجاب واكبار .
والى الباقين من رفاقه في السلاح انحناءة احترام وتقدير لما قدموه لهذه الامة من تضحيات ، ولهذه الاجيال من أمثلة البطولات .

١٧ كانون الاول - ١٩٦٢ طرطوس - الشيخ بدر

جميل حسن



احمد علي حسن

احبك حتى يضيق الخيال — بروحي ، وحتى يموت المحال
أحبك فوق جنون القلوب — وفوق الاماني العراض الطوال
هنالك خلف حنايا الضلوع — عواصف حب ثقال ، ثقال
هوادر حتى تقول : البحار — رواسخ حتى تقول : الجبال
اعندك منها ، ففي مقلتيك — قرأت بعيني جواب السؤال
فديت دلالك ، كل الحسان — يطيب ويحلو لديها الدلال
تحب الحسان هوان القلوب — اعند النجوم هوان الهلال
اطل هواك على الحالمين — فغنى قديما به « حزقيال »
وقال الجمال : هنا يا غوي — تأنق حتى استبد الجمال
لديك « سلامية » الاولين — بقايا طيوف حوال ، حوال
رآك فغنى سليمانها — بأحلى نشيد ، واغلى مقال
وغنتك « راعوث » بين النساء — وغناك « بوعز » بين الرجال
غفرت لقلبي هذا الضياع — وراء هواك ، وهذا الضلال
وكان ببابل سحر حرام — فمن اين جئت بسحر حلال
احبك يا وهج الامنيات — بصدري ، ويا همسات الظلال
واحيا هواك وراء الوجود — وقبل البقاء وبعد الزوال
ايعرف حبك كيف استقل — وكيف استبد ، وكيف استطال
ايعرف حسنك كيف استهل — فتونا بقلبي ، وكيف استحال
وقفت ببابك يا عشتروت — وكلي خشوع وكلي ابتهال
حلفت بنعمى هواك الحبيب — وعز اللقاء وطيب الوصال
ستبقى لحبك هذي الحروف — وما قيل منها وما قد يقال

١٨/١٢/٩٦٢ — احمد علي حسن



بعد الأصيل

مسرحية

اسماعيل حسني

شرفة في فندق مصيف ، كهل يدخن في هدوء جالسا يسرح طرفه في مناظر الطبيعة. تدخل امرأة أدنى الى الشيخوخة انيقة . تتأمل المنظر ، يبدو عليها الهم .

المرأة : (كمن تخاطب نفسها) ما اجمل هذا اليوم ؟

الرجل : (ملتفتا اليها) نعم ، كأنه حلم ملون .

المرأة : (تلتفت اليه وتتأمله) حلم ؟ لا ريب في انني أحلم ... ليس صوتك غريبا عني .. اني أعرفك ، أين رأيتك يا سيدي ، ان صورتك في ماضي السحيق تبدو لي الآن حائلة ، غامضة ، بل انك ، أنت آه يا رب ، أنت ؟

الرجل : (يقوم مادا يده) أيكون هذا حقيقة ؟ أنت (يصافحها ويقدم لها كرسيا) يا لفعل الزمان ، لقد نالت منك السنون ، السنون الثلاثون ، منالا مريعا .

المرأة : والخطيئة .. ان شبحها يهد شيخوختي ، ويدنيني من القبر .

الرجل : الخطيئة ؟ ما اسرعك الى الاعتراف ! اجل ، ان صور الماضي البعيد لتعود الآن الى مخيلتي في وضوح عجيب ... هل تذكرين ؟

المرأة : ان الزمان يعفي على الماضي ، كما تدرس الرياح آثار الأحبة ، في الصحراء المترامية ، كيف كان فراقنا ؟ انني فارقت بعدك الكثيرين !

الرجل : مللتني واجتويتني ، فطويت على الجرح الاليم فؤادي الكليم في صمت وسكون ..

المرأة : هذا يحدث كل يوم ، ولكن أنا ، أواه !

الرجل : ما بك تتألمين ؟ هل أستطيع أن ...

المرأة : لا تستطيع لي شيئا ، قد ملني الاثم واجتواني ، واسلمني الى هذه الشيخوخة المروعة ، الماضي يهدد كاهلي ، والحاضر يعذبني ، والمستقبل ظلام .

الرجل : الماضي ؟... ان الرجل لا يستطيع نسيان حبه الاول ، اما المرأة فتستبدل الذكريات بالذكريات كما تستبدل الثياب بالثياب .

المرأة : الذكريات ؟ (صمت) انها تنثال الآن في خاطري كأنما يمليها علي الزمان ، لقد قضينا اعذب الساعات ... لشد ما كنت ساذجا !

الرجل : ولشد ما أحببتك ، كنت تخدعين قلبي بمعسول الاماني .

المرأة : لقد طوى الزمان الحب والخداع .

الرجل : الزمان .. هذا الناموس المخيف ، لشد ما ابغضه واخشاه ، قد كنت لا أحسب ان صورتك الحبيبة ، يشوهها الزمان هذا التشويه المخيف .

المرأة : انك تثقل علي همومي ، ان أخشى ماتخشاه المرأة خريف الحياة ، او بعد الاصيل ، لانهما نداء الهرم المبدد للجمال ، ودعوة الظلام المبيدة للجسد ، ولكن ، أواه ، سرعان ما عرفت فيك الآن ، ذلك الفتى الذي كنت أدلله ، وأحتمل نزواته في صبر عجيب ، لا أدري مأتاه ، أو الدافع عليه .

الرجل : كان يدفعك غرور الجمال ، فقد وجدت في عبدا للجمال ، وجعلت منك مثالا حيا لفن الاله ، وأشبعت انانيتك شعرا واطراء ، ولكن ، لعمري رغم ذلك ، كنت تخدعينني .

المرأة : بل يخيل الي اني أحببتك حبا جما ، ولكنك كنت غارقا في الخيال .

الرجل : وكيف كان فراقنا اذن ، هل تذكرين ؟

المرأة : لا أذكر في وضوح ، ولكن ، لا ريب في

أنني مللت ، مللت طفولتك الحالمة التي أبت أن تستيقظ وتغامر .

الرجل : حياة المرأة مغامرة مرتبطة الفصول ، متصلة الحلقات ، والا لا تكون الحياة البسيطة الرتيبة حياة امرأة .

المرأة : لم تتغير عقليتك الا قليلا ، فقد دخلت عليها البلاغة ، فأنت تدهش العقول ، وكنت في سذاجتك ، تروع القلوب ، واني أفضلك ساذجا .

الرجل : لكي أكون سهل المتناول ، يسير القطف ! لا تريد المرأة أن تجد في سبيل رغائبها ونزواتها عسرا يا لانانيتها .

المرأة : (صمت) ولكن قل لي ، ماذا تصنع اليوم ، حدثني عنك .

الرجل : كما كنت من ثلاثين عاما .

المرأة : تكتب وتصور ؟ ألا تزال تصور ؟

الرجل : حتى يطويني الرغام .

المرأة : اني أحتفظ الى اليوم بصورتك « الحزينة الباسمة » .

الرجل : لن أستطيع اليوم تصوير مثلها .

المرأة : ولم ؟

الرجل : لانني كنت أعيش هيمان حالما حين صنعتها ، واليوم ، أعيش في الواقع المر .

المرأة : أجل .. لقد كنت في ذهول عميق ، فاذا حاولت أن أخرجك من جوك الحالم ، الى الواقع ، تراجعت مذعورا ، ثم انفجرت على صدري بالبكاء ، ألا تذكر أنك أحببتني حب تقديس ؟ .

الرجل : اجل وا أسفاه !

المرأة : فلما بذلت لك ما تستطيع المرأة ان تبذل ، أنكرت علي ذلك ، وجرحت كبريائي بصدك عن جسدي .

الرجل : فأمعنت في اغرائي حتى وقعت في حبائلك ، ما امر هذه الذكرى .

المرأة : ان ابتسامة تطوف على شفتي حين أذكر ليالينا ، يا لطفلي المسكين ، ما أكثر ما كنت تبكي ، تبكي للألم والسرور جميعا .

الرجل : « صمت يتذكر » .

المرأة : والادب ، ماذا تصنع الآن منه .

الرجل : كتبت كثيرا ولكنني لم انشر شيئا ، انني أربأ بمواليد فكري ان تصير الى سلعة تباع وتشترى ، هل رأيت آباء يبيعون اكبادهم ؟

المرأة : حينما كنت لاهية ، كنت معجبة برسائلك ، وكانت تستدر مني شئون العين ..

الرجل : هل تحتفظين بشيء منها ؟

المرأة : لا أضيع شيئا ، اختلط علي الامر فلم أعد اذكر اين مكانها من رسائلي .. ولكن متى تنشر اذن ؟

الرجل : حقا ، اني أكتب لنفسي ، ليس في ما أصنع من أدب شيء لا ينشر في الصحف والكتب كل يوم .

المرأة : تكتب لنفسك ، ماذا تسمي **هذا** ؟

الرجل : الفن للفن ؟

المرأة : (مقهقهة) الفن للفن ! تلك اسطورة رهابنة الفن ، هل يستطيع الزهر ان يكتم طيبه ان يضوع ؟ قد كنت تقول : الحب للحب ، والمرأة لا تفهم هذا الحب ، انها تقول : الحب للبقاء ، الحب للحياة ، وأنت رجل ذو **مواهب ويجدر ان ..**

الرجل : (مقاطعا) هذا اطراء منك ولكني افضل ان ينشر ما **أكتب في حياتي بعدي .**

المرأة : (مبتسمة كالعابسة) .. بعدك الطوفان .

الرجل : هكذا المرأة ، لا تؤمن الا باللحظة التي تعيشها ، انها لا تؤمن بالخلود ، ولهذا لم يكن في النساء نبيات وفنانات .

المرأة : ــ (تلوي شفتها . صمت)

الرجل : ــ لقد كانت ايام حبنا القصيرة رواية لم تتم فصولها ، سجلتها في مذكرات غير كاملة .

المرأة : ـ لا ريب في انك وصمتني بالخيانة والرياء ٠

الرجل : ـ الخيانة ؟ الخيانة لم تعد الخيانة في نظري الا تسمية لغوية لاحدى السجايا الاصيلة في المرأة ٠

المرأة : ـ (في غيظ كظيم) ولكن الا ترى انسقوط المرأة استجابة لارادة القدر فيها ٠

الرجل : بل انها ارادة جسدها الذي لا يغلب والذي يميل غريزيا الى السقوط ٠

المرأة : ما بال نساء الارض لا يسقطن جميعا ، ان فيهن الفضليات ٠

الرجل : المجتمع الفاضل ، والبيئة الصالحة ، يلجمان المرأة ، ويصعدان غرائزها فيجعلان منها مخلوقا جديدا ، يسيطر عقله الارادي على رغائبه ونزوات نفسه الشهوية ، والفضيلة في بعض النساء خيبة الغريزة الجنسية في اللذة الهاربة ٠

المرأة : والرجل هل هو بريء من سقوط المرأة ، وهلا يشاركها في طبيعته ٠

الرجل : الرجل هو الذي يوجه المرأة الوجهة التي يريد ويشجعها على تحقيق غريزتها في السقوط انه يشاكلها طبيعها ولكن الغريزة الجنسية من حياته لحظات ، بينما هي بالقياس الى المرأة حياتها كلها ٠

المرأة : انني لا أفهم عنك ٠

الرجل : ـ لانك لم تصعدي ، أنت هبطت الى أسفل دركات الحس ، ولم يتهيأ لك الجو الذي يصعد غرائزك التي خابت ، فضلت في طبيعتها سبيل الطبيعة ، حتى تمرغت في الوحل ، فأنت لا تفهمين ولا تفكرين الا كما يفهم ويفكر أولئك الذين يعيشون في ظلام الجنس ، ولم تشرق على ابصارهم أضواء الروح ، واذا انبثق نور جديد ، وأصاب اشعاعه أعينهم خطف أبصارهم وغشيتهم غشاوة من الروعة والخوف ٠ والمرأة الساقطة تخشى الفضيلة ولا تكرهها ٠

المرأة : ان الغيظ ليدفعك الى اهانتي ، لا تنس اني امرأة مهما يكن من ماضي ٠ وانك لن تستطيع ان تقول للمومس : يا مومس ، دون ان تجرح كبرياءها ٠

الرجل : ـ آه ! ان كبرياء المرأة من مستلزمات تحكم جسدها فيها ، ولست مغيظا ، ولكنني متألم ، والالم يرفع المرء فوق ذاته ، اما الغيظ فيهبط به الى التفاهة المادية ٠

المرأة : ـ (ترمقه) انك تغيرت كثيرا منذ عرفتك ، كنت من عباد الصنم ، جسدي ، المرتشفين من كأس الشهوات حتى الثمالة ،

الرجل : ـ كان ذاك ٠٠ وبان ، ولقد حطمت الصنم والكأس جميعا منذ بعيد ، وأخذت نفسي بضروب من العذاب حتى سموت عليها ٠

المرأة : أضعت حياتك فيما لا يجدي ٠ ما الذي تحس الآن ، هل أنت سعيد ؟

الرجل : ولكن ، ليست السعادة غاية الحياة ، انا أنا في نشوة غريبة خمرتها الآلام الساخرة ٠

المرأة : آه ، غدوت فيلسوفا من بعدي ٠

الرجل : انت التي علمتني هذا ٠ ولو أنني سرت في الطريق التي رسمت لحياتي لغدوت الآن مثلك ، تنهشني الندامة بنيوب حداد لا أستطيع لها دفعا ٠

المرأة : لا ، هذا كثير ، أنت تهينني ـ أرجوك ٠

الرجل : أنا صوت ضميرك ، أنا أجهر بما يسر اليك الضمير ، والضمير صوت عذاب ٠

المرأة : لن نتفق ٠ نحن مختلفان ٠

الرجل : بل ان طريقينا لمختلفان ٠ أنا مصعد وأنت هابطة ولن نلتقي ٠

المرأة : كفى ٠ كفى يا سيدي لن احتمل اكثر مما فعلت ، لقد هربت من نفسي الى هذا المكان ، لكي أنسى ، فجئت تشتط في حسابي ٠ ليس لك علي سلطان ، ليس لك علي سلطان ٠

الرجل : (منصرفا) الوداع ٠ الوداع يا سيدتي ٠ لن نلتقي ، ان طريقينا لمختلفتان ، ان طريقينا لمختلفتان (يخرج)

المرأة : (ذاهلة في صوت عميق) الوداع ، الوداع يا حبيبي ٠٠ الوداع يا حـ ٠٠٠ بيبي ٠

ـ الستار ـ

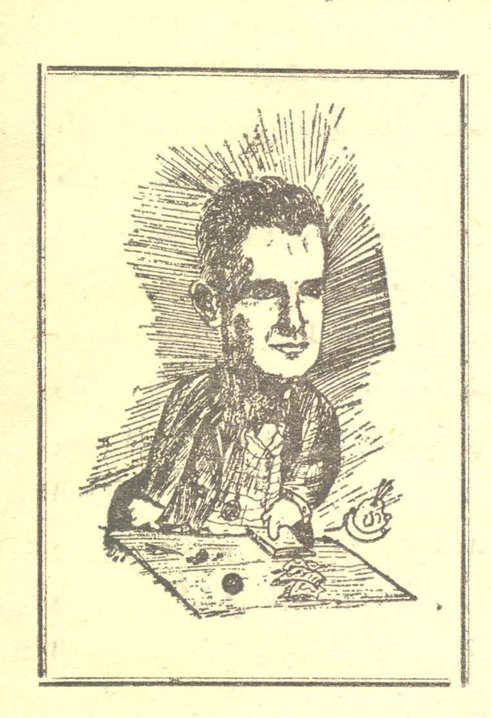
الأدب العربي وتحرير المرأة

بقلم: صلاح الدين موسى

من النماذج النسائية الرائعة هذا النموذج الذي ابدعته عبقرية الشاعر هوميروس في ملحمته المشهورة « الاوديسية » انه نموذج للمرأة الوفية تتمثل أبدع معانيه في « بنلوب » هذه الزوجة الحسناء التي ترمي المقادير بزوجها في أماكن نائية فتنقطع أخباره عنها ولكنها تقيم على وفائها له سنوات عديدة ولا تتحول عن حبها رغم اغراء العشاق الذين تزاحموا على قصرها رجاء الفوز بيدها بعد أن علموا بغيبة زوجها البطل وأمنوا بطشه فلما ركبها الضجر من ملاحقتهم لها لم تبخل عليهم بالوعود والاماني فأحيت نفوسهم بخدعة بارعة انقذتها من شرهم فقد اتخذت لنفسها منسجا وأوهمتهم أنها متى أتمت نسج كفن لوالدها فهي لا بد متزوجة بواحد منهم وبدأت تنسج وتنقض في الليل ما نسجته في النهار ولكن سرها يفتضح وتجد نفسها مرة أخرى أمام الحاجهم فتسعى الى وضع حد لهذا العبث الماجن بأن تعرض عليهم قوس زوجها وسهامه فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهما يخترق حواجز حديدية معينة فهو صاحبها فلم يستطع أحد أن يفعل ذلك ..

وهنا يعود زوجها اوديسوس فيثني القوس ويرمي السهم ويفتك بتلك العصبة من العشاق المعاميد ثم يلقي بنفسه في أحضان زوجه الوفية التي صانت عهده وبقيت على طهرها وعفتها هذه السنين الطويلة ليس لها من اليس الا هذا الايمان العميق الذي يغمر جوانحها بعودته القريبة ...

هذا نموذج للمرأة الوفية في الشعر القديم قلما تجد له مثيلا في شعرنا القديم ذلك أن الشعر العربي لم يكن يحفل بمثل هذا النموذج فقد غاب نموذج الزوجة الوفية ونموذج الاخت الحنون والام الرؤوم في زحمة نماذج المرأة المعشوقة وهذا النمط من الشعر



النسائي كان كل شيء في الشعر العربي القديم ولقد بلغ من أهميته وسيطرته على النفوس أن أصبحت القصائد لا تعذب في السمع ولا يحسن وقعها في القلب ولا تجد طريقها الى الروح الا اذا كانت مفتتحة بالنسب .

وانه لمن المحزن حقا ألا نجد في الشعر العربي القديم ما يرفع من قيمة المرأة ويعبر عن الجوانب السامية فيها ـ فلسنا نعثر فيه على نموذج كهذا النموذج الذي ابدعه دانتي في (بياتريس) تلك الفتاة الوديعة التي أصبحت عنده مثالا للفضائل الانسانية والتي اضفى عليها خياله ما جعله يردد قول هوميروس « انها لا تبدو ابنة بشر ولكنها ابنة (اله) وانها ما جاءت الى هذا العالم الا لكي تشيع الطهارة فيه وما غادرته الا لان السماء في حاجة اليها وان المدينة بعد موتها قد تيتمت »

على أن هذه المآخذ التي تسجل على الشعر القديم لا تغطي على هذه الامثلة الرائعة التي تشرق في تاريخنا ..

ان في هذا التاريخ الخالد امثلة عظيمة للمرأة في أعظم مواقفها الانسانية .

هذه نائلة زوجة عثمان . يتكاثر عليها خطابها بعد قتل زوجها فتأباهم جميعا .. ولما خطبها معاوين بن أبي سفيان قالت : وما أعجب أمير المؤمنين مني ؟ قيل لها حسن ثغرك وكانت كأحسن النساء ثغرا فدقت ثناياها وقالت : أذات ثغر تراني بعد عثمان وهذا مثال آخر يحدثنا به الاصمعي نذكره مع شيء من الاقتصاب :

قال : رأيت بالبادية اعرابية لا تتكلم فقلت : أخرساء هي ؟ فقيل لي لا ولكن كان زوجها معجبا بنغمتها فلما توفي أطبقت فمها فلا تتكلم بعده أبدا » .

مثل هذين النموذجين لم يقف الشعر العربي عندها واني لابحث في شوق زائد على نموذج يمثل الام في حنوها وعطفها أو يصورها وهي تحتضن رضيعها فلا أجد حتى نموذج المرأة المعشوقة ليست له سمة خاصة أو ظاهرة مميزة فكلهن في ميزان الشعراء خصر نحيل وخد أسيل وغير ذلك من المحاسن الجسدية اما المعاني السامية في المرأة .. أما عواطفها وأحساسيها فذلك أمر لا نعرف له بداية الا في شعرنا المعاصر هذا الشعر الذي لم يعد يستكثر على المرأة الديوان الكامل ينظمه في تمجيدها ويرفعها عن تلك النظرة السيئة نظرة العصور القديمة اليها ....

لقد كان المجتمع العربي في تلك العصور يستمد قيمه الاخلاقية من منطق القوة ومن هنا كانت مكانة الضعيف فيه مكانة مهينة مزرية بالغة حدها من الانحطاط والضعة والمرأة في ضعفها لم تستطع أن تكون قوة فعالة في القبيلة والدفاع عنها فأنزلها ضعفها منزلة المتاع حتى تعرضت للسبي وأصبحت تغنم وتباع كأنها ثروة مادية ولقد جنت عليها هذه النظرة جناية تسلسل أثرها مع التاريخ وعلى الرغم من الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة فقد بقي العرف ينظر اليها نظرة القوي الى الضعيف وزاد من ضآلة قدرها وهوانها على الناس ما كان من شيوع التسري والرقيق .

وربما كانت نظرة الشعر العربي في عصوره الاولى نظرة أدنى الى القصد والاعتدال لان النظرة العربية كانت بريئة وبعيدة عن هذا الفساد الذي شاع في عصور الانحطاط .... كانت نظرة سليمة في العصر الاسلامي عندما شاع هذا الغزل العذري في الحجاز ، تلك نغمة جديدة كان للدين الجديد أقوى الاثر في ايقاظها ورفعها عن شوائب الجسد ولكن هذه النغمة الرقيقة لا تلبث أن تضيع في فساد العصور التالية التي جعلت من المرأة لذة رخيصة فحسب فحجبتها عن الحياة وحرمت المجتمع من أجمل مباهجه وأعظم قواه الدافعة وكان من نتيجة هذا البعد الذي فرض عليها أن لازمتها نظرة سيئة ولاحقتها لعنة أبدية تتهمها في براءتها ونزاهتها وتشك فيها وتجردها من كل عاطفة كريمة فأصبحت مثالا للغدر والدس والخسه والنذالة والكيد ولم يبق لنا في الشعر الا نموذج المرأة الهلوك والمرأة العشيقة .

وكتاب « الف ليلة وليلة » أبلغ شاهد على نظرة العصور المتأخرة الى المرأة فلا نكاد نعثر فيه على نموذج شريف عفيف فأنت غارق منذ البداية في غدرها وخياناتها وسوء الظن بها حتى لم يعد بطل القصة يرضى أن يرتبط بامرأة لاكثر من ليلة ثم يرسلها مع الفجر ... الى العالم الثاني !!

وقد ظلت مكانة المرأة على هذه المهانة وانحطاط المنزلة تحوطها العماية ويغلفها الجهل حتى كانت بداية هذا القرن عندما استيقظ الشرق على صوت الخطر الزاحف المتمثل في الاستعمار الغربي الذي دفع المصلحين الى البحث عن اسباب هذا الواقع الفاسد المرير الذي يعيشون فيه فكان ابرز هذه الاسباب واظهرها ... مكانة المرأة ... ومن هنا تضافرت الجهود لتصحيح هذه المكانة وردها الى الوضع السليم ذلك الوضع الذي يقضي به منطق الكرامة والتقدم فكانت في مصر دعوة قاسم امين تلك الدعوة التي زلزلت كيان الرجعيين وشملت في امتدادها الشرق كله ، كانت دعوة تهدف الى تحرير المرأة من الجهل ومن الحجاب وكان سلاح هذه الدعوة ان لا سبيل الى رقي الشرق الا برقي نسائه فالمرأة في

جهلها وعمايتها وضلالها لا تستطيع ان تنشيء جيلا متعلما يفهم حقيقة الحياة ويقدر قيمة التضحية وهل ينتظر من ناشيء جهلت امه معنى الامة ، ومعنى العزة القومية ومعنى الكرامة الوطنية ان يشب على الايمان بها ؟

وقد ساير الشعر العربي المعاصر هذه الدعوة فكان متحفظا في مصر وكان متحررا مندفعا في لبنان والعراق، كان متحفظا عند شوقي وحافظ وكان متحررا عنيفا عند الرصافي والزهاوي وجبران وامين الريحاني ... ، وبين التحفظ والتحرر كان يزحف موكب التقدم على حطام الرجعية وانقاض الجمود وسيظل في زحفه حتى تبلغ المرأة ما يراد لها من عزة وسمو ..

ظفرت المرأة بعناية الشعر المعاصر الذي شارك في الدعوة الى تعليمها وتحريرها فكان شوقي يردد :

واذا النساء نشأن في امية
رضع الرجال جهاله وخمولا

وكان حافظ يلخص الدعوة الى تعليم المرأة في هذا البيت الخالد :

الأم مدرسة اذا اعددتها
أعددت شعبا طيب الاعراق

وكان مطران يرسل هذه الحكمة :

ان لم تكن ام فلا أمة
وانما الامهات الامم

أما في العراق فقد كان الرصافي ثورة جارفة وتمردا عاصفا ودعوة لا تعرف اللين ولا الهوادة :

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا
جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالي
فعشن بجهلهن متهتكات

وقالوا ان معنى العلم شيء
تضيق به صدور الغانيات
وقالوا شرعة الاسلام تقضي
بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الاسلام كذبا
تزول الشم منه مزلزلات

ولا تقل ثورة الزهاوي عن الرصافي حدة وعنفا ، فهو يرى ان الوقت حان للمرأة كي تحطم قيودها التي قيدها بها قوم لا يفرقون بين النور والظلام قد اعمت أبصارهم التقاليد البالية وحجبتهم عن الحق عادات وبقايا العصور المتأخرة ...

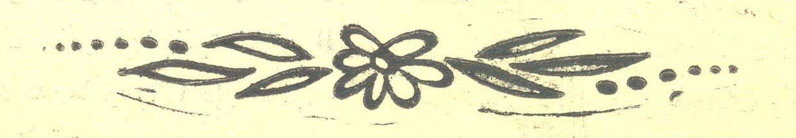
أما لبنان ، فقد كان كما عودنا دائما اندفاعا متصلا نحو فك عقال المرأة العربية ظهر ذلك في كتابات امين الريحاني وجبران خليل جبران وماري زيادة ومخائيل نعيمة ومارون عبود ...

وقد كان جل هؤلاء الكتاب يرون ان علة اخفاق الشرق العربي هي تلك التقاليد السائدة بين افرادها وفي طليعتها هذه النظرة « الخبيثة » نحو المرأة وهذا الحجاب الذي ترفل فيه وذاك « السلملك » الذي تقبع بين جدرانه .

وقد كان لكتابات اولئك وهؤلاء اثره البين اذ سرعان ما حلقت راية « تحرير المرأة » في سماء العروبة. وسجل الادب العربي انتصارا باهرا اضيف الى انتصاراته الاخرى في الميادين القومية والاقتصادية ...

فاذا بالمرأة ظهيرة للرجل في شتى أعماله ، انسان له حقه في الحياة ومخلوق يتساوى مع الرجل في القيم الانسانية والاجتماعية ... وبدأت جحافل الرجعية الاجتماعية تراجع لتفسح لمواكب النور طريقها الحافل بالورود والرياحين ...

دمشق ـ صلاح الدين موسى



شوق جديد

بقلم محمد عباس



بي جوع !! لمن ؟ لعينيك ؟ للثغر   لورد من مرمر ودماء ؟

لم تنله يدي وأقسم يا حسناء   لكنني به في شقاء

* * *

بي جوع والنور ، والزهر ، والآماد   تدعو قلبي لسحر الخلود

والمنى يا صغيرتي لم تدنسها   ظنون لعابث عربيد

* * *

بي جوع لخصلة من شعاع   بين نهديك عرشها والمكان

سدرة المنتهى تهون ولا يبقى   سواها خلق ولا انسان

* * *

بي جوع يقول للجسم لا ترحم   ويمضي مقهقها مفتونا

وخيوط الانوار تغزلها كفاه   للكافرين والمؤمنينا

* *

بي جوع والنور ، والحب ، يانفس   وقدس الشباب ملء حياتي

فالى جنتي الى اين يدعوني ؟   سؤال محير في لهاتي

* * *

حبي الحب يا صغيرة لو تدرين   دفق الحياة والايمان

لك ، لله ، للطبيعة تجلوها بلادي   بديعة الالوان ....

محمد عباس

١٩٥٣/٣/١

من ديوان عرائس الشاطىء : المعد للطبع



- ١ -

● آفة الانسان انه يملك ألف عين يرى بها عيوب الانسان ولا يملك الا عينا واحدة يرى بها عيوب نفسه ···· ويا ليته ترك هذه العين مفتوحة من غير أن يغمضها في كثير من الاحيان ····

● لو كانت الاقلام تحس وتدرك لابت أن تحركها بعض الانامل كما يشتهي النفاق لا كما تريد الصراحة ···

● لا يملك الانسان في هذه الحياة الفانية حتى نفسه ، ولكنه يريد أن يملك كل شيء يراه أو يتصوره أو يحلم به !!·

● رأيت رساما منهمكا في رسم لوحة فنية تمثل رابية من الجماجم وعلى قمتها رجلان يتعانقان · ولما سألته عن اسم اللوحة أجابني : « العار الابدي ··· »·

● لا تتوقع خيرا من رجل عقله اكبر من قلبه ··

● من يدري ··· لعل سفينة نوح أنقذت الناس من طوفان الدم لا من طوفان الماء ···

● بينما كنت أنعم بنشوة العزلة طرق رجل بابي ليخبرني أن جمجمته فارغة وأن وقته لا قيمة له··

● قال لي انسان لا يحترم نفسه : أنا أحترمك · فسألته : هل أنت منافق أم كذاب ؟!··· وقبل أن يجيبني ، تركته وانصرفت ···

● كنت ذات مرة أسير مع فيلسوف بالقرب من حانة ، فتطلع الفيلسوف الى السكارى من وراء زجاج النافذة ، وتطلع الي وأمواج الاشمئزاز تهدر على وجهه وقال : غدا يحتسون دموعهم ··· فسألته قائلا : وماذا تحتسي أنت الآن ؟ فأجابني بصوت خافت مرتعش : دموعي ···

قلت : أليسوا أفضل منك ؟

قال : كيف ؟

قلت : أنت تحتسي دموعك اليوم وغدا ، أما هؤلاء فيحتسبون دموعهم في الغد فحسب ····

عندئذ ، أطرق الفيلسوف ، ولم ينبس ببنت شفة ···

● بعض الناس يجرحون احساسك بمدية ··· ولكنك اذا خدشت احساسهم بدبوس ، فانهم يقيمون الدنيا ويقعدونها ···

● في ذرة التراب تتحجر تنهدات وابتسامات وأشواق آبائنا واجدادنا ···

● الويل لك من المومس اذا قلت لها : أنت مومس ····

● يتمنى الصادق ان يعانق عزرائيل عندما تضطره الظروف على اقامة الدليل على صدقه ···

● غضبت حبيبتي عندما قلت لها : انت زهرة في روضة حياتي ··· وقالت لي والعتاب يتعالى في نبرات صوتها : للزهرة أشواك ···

● بعض الناس يسمعون بجيوبهم ولكنهم لا يشكون الصمم ···

● أين كان الانسان قبل أن يولد ؟ والى أين يذهب عندما يموت ؟ — سؤالان ما برحا شغل الفلاسفة الشاغل · أما كيف يجب أن يعيش الانسان ، فموضوع يتركه أكثر الفلاسفة للساسة والاقتصاديين ، ولو ساهموا في حله بعقولهم الجبارة التي ما برحت تطرق أبواب الغيب ، اذن لخفت ويلات البشرية عن ذي قبل··

● اذا آمنت بالحكمة التي خلقتك وخلقت هذا الكون العجيب ، فلم تكفر بثنائية الخير والشر — أعني ثنائية المتناقضات — أليست هذه الثنائية منبثقة أيضا من الحكمة التي هندستك وهندست معك هذا الكون المدهش ؟·· أتكون أنت مصيبا وتكون هذه الحكمة العظمى مخطئة ؟!

● فلاسفة تناسخ الارواح لايؤمنون بالجدل ··· ولكنهم يبذلون ما بوسعهم لاقامة البراهين على دعواهم· والبرهان — كما لا يخفى — يدحض ببرهان أقوى منه · ومعنى هذا ان هربهم من الجدل يعني أنهم يتجنبون أسباب الهزيمة ؟!

● اذا احتكرت المال ، فأنت غني مستأثر ، واذا احتكرت الصراحة فأنت مغرور متجبر ...

● اذا أردت أن تهجو نفسك فامدح من لا يستحق المدح ...

● اذا كان طريقك الى الحقيقة غير طريقي فليس معنى ذلك أنني متجه الى الاوهام ...

● ما أقل أغنياء النفوس بين أغنياء الجيوب ... وما أقل أغنياء الجيوب بين أغنياء النفوس ....

● ما أكثر أموات الاحياء وما أقل أحياء الاموات ...

● ان الناقد الذي لم يحترق بنار الحب لا يحق له أن يبدي رأيه في قصيدة غزلية ...

● قل ما تستطيع فعله أو لذ بالصمت ...

● أوصلني صديق الى شفير هاوية رهيبة وقال لي : أنا لا أجبرك على أن ترمي بنفسك الى أعماق الهاوية وانما أترك لك حرية اختيار الانتحار او الاحجام عنه !!.

● اذا استدنت فلسا من مخلوق أصبحت مخلوقا من مخلوقاته ....

● قال لي عاشق فاشل : أهدتني حبيبتي زهرة قلبها ثم هجرتني . ثم تزوجت قبل ان تسترد زهرة قلبها مني ، ولما حاولت أن تسترد زهرة قلبها وجدتها ذابلة ، فاضطرت على أن تقدم لزوجها زهرة مزيفة عديمة الرائحة ، فنجحت في تضليلها لان زوجها طفق يشم هذه الزهرة بأنف غريزته الحيوانية ويسكر الى حد العربدة ، بشذى عطرها المعدوم ...

● ما أكثر الذين يعرفون الحقائق ولكنهم يتجاهلون أو يموهونها بدافع من مصالحهم الشخصية.

● اذا سار الاديب على طريق معبد فلن يبلغ محجة العبقرية حتى تدركه المنية ...

● عندما ينفر الاديب من التبعية لاي أديب ميت أم حي ، ويلبي نداء تجربته وذوقه ومزاجه ، عندئذ ، يصبح أديبا ...

● بعض الاطباء لعزرائيل وكلاء ...

● أنا لا أؤمن بتناسخ الارواح الا في الحب . ذلك لان الحب الميت يتناسخ مدى الحياة في اجساد من الذكريات ...

بغداد

حارث طه الراوي
أمين مكتبة المجمع العلمي العراقي

(★) عن كتاب « حصاد التجارب » المعد للطبع

سأبقى وحدي

قصة

بقلم محمد طالب

كل شيء في الطبيعة يوحي بالثورة . فالريح الصرصر العاتية تزمجر وتصفر تريد اقتلاع الغرفة من مكانها ، فتحييها الواح التوتياء وتنحني تضرب بأجسامها فوق اغصان الحور والقصب علها تجد عطفا من جلادها الذي لا يكل ولا يمل .

قطرات المطر الغزيرة تكاد تختنق بها حنجرة الارض ، فسالت في حركة هسيتيرية تعيث في كل شيء . ما عليها انها تريد طريقا تضربها من هذا الفيض الذي داهم بجبروته حيطان الحديقة وباب الغرفة . فلتحطم ولتخرب طالما ان لها غاية المزراب ذي الشفة المتدلية الشوهاء . يسابق الريح بضرباته وبعزم الموتور يهاجم التراب الناعم فيزحف به بعيدا والباب . ويا للباب اللعين ! ما له يصر بمصراعيه هكذا . يكاد ينفلق ، والنافذة البلهاء انها تئن بغير انتظام ، والمدفأة الخرساء يغازلها الريح وكأن بها مسا ويغرق في جوفها انفاسا محمومة . يجن الرماد في مرقده . فيتناثر من فيها الذي تعفر وتغبر . تحسست فطوم جانبها الايمن . فبدا وكأنه قطعة جليد . والتصقت بالكتل اللحمية الثلاث التي تنام بجانبها . وتلمست هشام انه معاكس كثير الحركة لقد ترك اللحاف بعيدا . فأعادته برفق وغطته وهي تتمتم بأدعية وكلمات . ثم مست رأس عزيزة ورفعت الغطاء عليها ، ثم حضنت سيف الدين ، وجمعتهم بين ذراعيها ، وراحت في سهادها المؤرق . ورق لها الغيم فأسرع القمر يحبو الى الغرفة . ثم عبس الجو وامتلأ الليل سوادا وظلمة . واكتأبت الغرفة ذات الستائر السوداء الرقيقة . وراحت حبات البرد تضرب زجاج النوافذ بقوة . وشعرت فطوم بانقباض اخذ بخناقها . وذكرت اسم الله مرات ومرات . ثم قرأت آية الكرسي ، وتطلعت الى السقف الذي تندى وظهر خلال الضوء الخافت الذي ينبعث من مصباح بترولي قديم كأشباح ترقص في حزن وأسى . وكان اللهب الاسود المتصاعد برائحته الكريهة يبعث في نفسها التقزز والقرف مع أنها لم تشعر بذلك من قبل . سمعت فطوم أنات خفيفة تخرج من فم سيف الدين فأخذت تحوقل وتبسمل واختلجت أعضاؤها وانتابتها رعدة لم تشعر بمصدرها . وجمعت نفسها في حلقة متراصة . انها تكاد تختنق . لم لا تبكي ؟ . انها طريقة حسنة للافراج عن قسم من همومها . وتركت لدموعها العنان . وعلا نشيجها في الغرفة التي تكاد الريح تقتلعها وترميها بعيدا ، وضاعت اناتها في ثورة الكون الهائج .

حدقت في الكوة التي يترامى منها بصيص القمر . وأرسلت روحها مع الصدى المتردد في أفناء الدار الواسعة وتمتمت بعد تأوه عميق وطويل . ونفثت زفرة محمومة . الدنيا حظ ... لو يدوم .

تذكرت ماجدا بقامته المديدة وقد استلقى الى جانبها بوجهه المرح البشوش وأقاصيصه الجميلة ونوادره . بشعره الخرنوبي الاجعد وابتسامته العذبة وغمرتها نشوة عارمة وهمت بتقبيله لولا ان كذبتها الحقيقة غطت عينيها بيديها واسترسلت في شريط طويل أوله مبهج نضر وآخره اسود حالك ، مظلم الزوايا تكثر فيه المنعطفات . لقد اتهموه بتهمة الخيانة . ولكن انا أنا أعرفه . لا لا ليس صحيحا .

انه زوجي وأنا ادرى به .

ايها القضاة ، ايها الحكام . رفقا بشبابه ، رفقا بي بأولادي الصغار . أيها العادلون . ارحموني أرحموه .

لقد وضعت أولادها الثلاثة امام منصة الحاكم الذي ظهر من وجهه المتجهم ونظراته القاسية من حركاته الجامدة كالنسر الهرم أقعده طول التربص والانتظار دون ان يفوز بشيء . وقد غلب على امره . وتذكرت عضو اليمين ونظرات الاشفاق في عينيه وكلماته اللطيفة التي كانت عزاءها الوحيد في ذلك الجو الرهيب . ورنت في أذنها كلمات الرئيس .

اذهبي يا امرأة • وتذكري أنك زوجة جاسوس لا يستحق منك أي عطف أو رعاية • انه غير جدير بهؤلاء الاولاد ولا بك • لانه فرط في حقوق وطنه وواجباته نحوكم ونحو نفسه • انه مجرم واني مقتنع بذلك رغم عدم وضوح الادلة • اخرجي أن يومك هذا يجعلك حرة طليقة • لقد تخلصت منه • لو فكر فيك وفي ابنائه لم يقدم على هذا •

وعاد اليها منظر ماجد وقد تمسك بقضبان الشباك الحديدي مطرق الرأس منكس النظرات ، كان يبكي ولكن بلا دموع • بلا شكوى دون انين • لقد كان كالليل • ولكن بلا امطار بلا رعود • لقد أومأ الي بالانصراف • ورفع رأسه الى الاعلى وتعلقت عيناه بشيء مجهول لم أستطع تحديده • لقد كان يتمتم •

كان الحكم مؤبدا •• أجل مؤبد • وارتعشت عضلات جسمها في خلجات متوالية • وحملقت في المصباح • أجل لم أستطع سماع تلك الكلمة • لقد أغمي علي عدة مرات خلال الاسبوع الاول •

اذن سيقضي عمره في السجن • وانا •••؟ لم تكن تفكر في ذلك من قبل • وتطلعت الى ابنائها • سأعيش معكم وحدي • أجل وحدي • ونظرت في وجه شقيق زوجه مستفسرة •

كان حميد سندها الوحيد في محنتها • لقد كان معها طيلة مدة التحقيق والمحاكمة • لقد رعاها ورعى أولادها مع أنه متزوج وله خمسة أولاد • لقد طمأنها بنظراته الهادئة • أجل لن تحتاجي أحدا ، اللهم الا اذا أردت ذلك • وفهمت يومها ما يعني فأطرقت تبكي بحرارة • وحاول تهدئتها ولكن •• لتبكي •• فلمثلها البكاء • واسرعت بعدها الى البيت تعيش مع احزانها •

ولكن زوجة حميد تلك المرأة الدميمة الشكل ذات القدم الغريبة بأصابعها السبع وشكله المدور • قد اتهمتها أهانت عزتها • لقد اذاعت ذلك بين الناس • ان فطوم تحب حميد • وهمت بالتوسل الى الله ان يجعلها مثلها ولكنها تذكرت حميدا • ما ذنبه • وسحت دموعها • فجففت وجهها بمنديلها الاسود • وأحست بحرقة عيونها المنتفخة الحمراء • ووخزات انفها الذي ازرق واحمر • وارتفع في مكانه كصخرة صماء لم تحن هامتها الخطوب وحاولت جمع افكارها واسهبت • وفجأة انتفضت بشدة كالملسوع بالرمضاء بعد ان اضناه البرد القارص ، لقد خطبني عدد كبير من الرجال ، لم لا أتزوج واحفظ سمعتي ؟ وعندها • أجل سيخرس الجميع • وتجاوبت اصداء هذا الخاطر في ثنايا ذاتها ، انه الحل الصحيح •

ولكن ••• ماجد •• اليس من المحتمل ان يخرج من سجنه يوما ما ، وتصورته خارجا ، سيأتي الى هنا • فاذا لم يجدني واولادي • يا للعار لا لا لن يكون هذا سأبقى هكذا • سأبقى وحدي •

وتذكرت حديث أم علي • العجوز الهرمة يوم قالت لها • لم لا تتزوجين حميدا يا فطوم ؟ انه اخو زوجك وعم أبنائك وولي أمرهم • سيغمرهم بعطفه ولن يتأخر عن اسعادك • لقد سمعت انك تريدين الزواج !

وراقت الفكرة لفطوم وفصلتها في مخيلتها مرات كثيرة • مرة تراها نكاية بزوجته الدميمة • ومرة تفسرها من حيث مصلحة أولادها ومستقبلها هي • ولكن صورة مجسمة برزت أمامها • واضحة مشرقة مع الشعاع الفضي الذي اندفع فجأة في الغرفة • كادت تصرخ من هولها •

لقد خرج ماجد • ها هو ذا يطرق الباب • فلا يجد أحدا • وراحت نقراته بدون مجيب • لقد ارتد كسيرا • ثم أطرق برأسه الاشيب ومشى بجسمه الناحل الى بيت أخيه • والتفعت انفاسها اللاهثة وزاد خفقان قلبها • من سيستقبله هي زوجة اخيه • أمسكت بالوسادة تكتم غصاتها المبحوحة بجهد وقد ارتفع صوت بكائها • يا لحظي التعس لن يكون هذا • سأموت • سأنتحر • سأبقى لك يا ماجد • وسمعت هشام يصيح بها • ماما • ماما • هل عاد ابي • لم تبكين • وصار يشاركها في نواحها • فأخذت تربت على كتفه • وتكتم بكاءها • حتى سكت • فقامت وقبلته وتذكرت « الصبر جميل » انها قصة ستجد لها حلا • ورددت باذن الله •

واقتربت من اولادها وجمعتهم وضمتهم بشدة • وشعرت بالدفء يتسلل الى جسدها المتقلص العضلات • ثم غفت بعد اعياء طويل • بينما كان الديك يردد صلواته الاولية ويخطب في جيوش الفجر • يأمرها بالانسحاب •

المعرة ــ محمد طالب

هل للفن ضرورة ...؟

بقلم : عبد الوهاب رمضان

ان الاعتقادات التي يأخذ بها كثير من الناس ان الفن من الاشياء الكمالية بالنسبة للحياة وحدوده لا تزيد عن حدود اللهو والتسلية والضحك وملء الفراغ .. ومما لا شك فيه ان من ينظر الى الفن كهذه النظرة السطحية مخطىء حتما بل جاهل لا يفقه ولا يعي معاني الحياة الفنية السامية .. ولقد برهنت الفنون في كل العصور انها الدعامة الاولى في رقي الحياة وتقدمها .. لا سيما في العصر الحاضر ، اذ أصبح الفن اداة ارشاد وحق وجمال وذوق . فالحياة مع الفن هي الحياة الحقيقية ، وحياة بلا فن اشبه ما تكون بصحراء بدون ماء .

لنلقي على أنفسنا هذه الاسئلة .. هل نحن بحاجة الى الفن ؟؟.. وهل للفن ارتباط بحياتنا ؟؟.. وهل وجود الفنان في المجتمع امر ضروري ؟؟.. الجواب على كل هذه الاسئلة .. بنعم ، ولكن لماذا نعم !!..

الفن بصورة عامة هو نتاج لاحاسيس وعواطف ومشاعر سامية ارتقى بها ذوق الانسان ولا يزال يرتقي عن طريقها ، وهذا الرقي والسمو لا يكون ما لم يؤثر عليه الفن والسبب في ذلك ان غاية الفن في الحياة الابداع والكشف واستشفاف كوامن الحق والجمال .. اي جمال .. اذن متى توصلنا معرفة الحق وتذوق الجمال أحبنا الفن وسمت افكارنا ومشاعرنا عن طريقه فالفنان يسمو بفنه لاحساسه البالغ بالقيم الجمالية ، فهو يشعرنا دائما وابدا ان هناك رابطة خفية تربطه بتحفته الفنية فيسعى جادا لكشف تلك الناحية الجمالية التي تتناسب مع روحه وتتفاعل مع نفسه فيبرز لنا في لذة وحماس . فهو اثر علينا بسعيه الفني ودفعنا الى التقدم والتسامي بالقيم ونحن لا نعرف ما هي مسببات هذا التسامي والتقدم . ولكن اذا ما تحرينا عن حقيقة هذه المسببات وجدناها تنحصر في كلمة واحدة هي كلمة (الفن) ذلك لان تأثير الفن فينا هو التأثير على الناحية اللاشعورية .. وقد اثبتت الفنون ان الاستجابة والتفهم عن طريقها اسرع وافضل بكثير من قراءة الكتب التي تبحث في القيم الجمالية والروحية والخلقية .

والفن الحديث في جميع الدول التي قد قطعت مرحلة جيدة بأنظمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أوجد فيها تجاوبا ملموسا ومباشرا لنفسية الانسان ومتطلباته . فالفنان في هذه الدول هو رسول خير وحق وطموح ... تزخر نفسه بالكرامة والعطف والحنان في تفهم مشاكل عصره ومآسيهم ، فالفنان الحق هو صاحب قلب كبير قد وعى اهل عصره وتمثل في فنه آلامه واحلامه بل عليه ان يكشف لنا عن عالم جديد يسود فيه المحبة والسكينة والاطمئنان .

والدول التي قد وصلت لدرجة من الرقي والتقدم نراها تسعى في توفير الوسائل المادية والمعنوية لتعزيز الملكات الفنية في مدارسها وجامعاتها ومعاهدها اعتنائها بالدروس الاخرى لانها تعتقد ان مناصرتها للفن معناه مناصرتها للوعي الذهني الذي يوصل شعوبها الى غاية نبيلة وهدف أمثل .. فهي تفتح المؤسسات والمعاهد الفنية وتقيم المعارض والحفلات والمهرجانات وترعاها بكل عناية وحرص ، وتخصص اسبوعا في السنة يدعى اسبوع الفن حيث تعرض فيه شتى ضروب النشاط الفني وتضع الجوائز المغرية للهواة .. فكل ما تقوم به هذه الدول يعود الى علمها بل الفن اذا ما اتخذ صفته الواقعية العامة ، سار الشعب في مضمار الحياة الراقية والقيم السامية التي تصبو اليها الانسانية وتسعى لبلوغها .

فالفنان لا يمكن ان يكون فنانا بالمعنى الصحيح الا اذا كانت غايته في الحياة غاية الخير .. يستقي من وحي فنه الخير ليعكسه الى الناس فيستحسنونه ويستجيبون له .. لهذا فالفنان الصحيح هو الذي ينشأ وفي قلبه فكرة تنمو بنمو عقله ومزاولته .. وعلى هذا الاساس اهتم علماء التربية بالناحية الفنية في غرس نبتة الفن الصحيح في نفوس الاطفال ، فهم يرون ان على الطفل ان يتلقى الفن كما يتلقى طعامه وشرابه وعلومه المدرسية .

واني لأقول متى سيصل بلدنا الى هذه الغاية السامية بصورتها الصحيحة ؟.. وهل سيلتفت المسؤولون ويؤمنون بأن الفن ضرورة من ضرورات الحياة ومتطلباتها .



«نظير جابر»

« بعد خدمة ست سنوات مريرة في المناطق النائية خرجت هذه القصيدة » .

ن . ج

أأنوح ...؟ لا يجدي النواح ، ولا البكاء ، ولا العويل
وأثور ...؟ بركاني تضج به الاباطح والسهول
وألوم ...؟ من ...؟ هلا يلام السارح،الوجل،القتيل؟
تاه الدليل به ، وهل للشاردين ـ اذن ـ دليل ؟
وتأوه الكرسي ـ من خجل ـ فأرشده الذهول
وحنت على كتفيه ـ يا عاري ـ الغواية والخمول

* * *

مرت على الساحات اجيال ويعقبهن جيل
وتراكضت خيل على عرصاتها ومشت خيول
ووقفت وحدي جامد النظرات تصحبني الطلول
سنواتي الست العجاف ـ مللتها ـ ليل طويل
لا يبقى في الغمرات الا الناهد الفرس الاصيل

* * *

قلبي تنازعه الهوى المخمور ...، والامل البخيل
عيني ترى الانصاب أشباحا تراقص او تجول
روحي يشد وثاقها ـ رغم الردى ـ جسد هزيل
هذي جراحاتي مسعرة ، وذاك دمي ... يسيل
ويموت في الموت مذعورا ، وينتحر الافول
وتسد في وجهي ـ أيا وجهي ـ المفاوز والسبيل
لا أدري ان كانت ليالي الشؤم ، تقصر أم تطول

* * *

جف الفرات ، فماؤه ضحل ، ومنهله وبيل
الحقد يزأر في نواجذه .... ، فيحمر الاصيل
وتحمحم البيض العراب به ... ، ويشتد الصهيل
ان تكرم الاصحاب مثواه ... ، ويشكره النزيل
أو ترفد الانهار مجراه ...، ويسعفه الخليل
فالصاحب المئناف ـ في عينيه ـ مغتصب دخيل
أمن العدالة ان يجوع الجوع ... والنزر القليل ؟
ومن الشهامة ... ان ضيفا زائر عبء ثقيل ؟
أسفي على قحطان .... تنكره العشيرة والقبيل
أين الوفاء ورهطه ، واليعربية ، والعقول ؟
أين الضراب البكر ...، والفتك المدمر ، والصليل ؟
أين الحمية ..، والاصالة ..، والرجولة ..،والفحول؟
خفض الاباة الصيد هامتهم ... لتختال الذيول

* * *

غرب (الحويجة) مدنف الاكباد ، ملتهب ، عليل
متلفع بالبؤس ، حان فوقه الورق الذليل

* * *

والجسر ـ يا جسر الفرا ت ـ عفت معالمه السيول
فرثته ضفدعة ، وناحت بومة ، وشكا المقيل

* * *

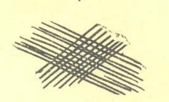
شحبت رمال البيد ، واصفرت ، وأسقمها النحول
فتناثرت مزقا ، يبدد شملها .... الخطب الجليل

* * *

في اللاذقية نشوة الالهام .... ينفحها الهديل
فوق الذرا الشم الندى الولهان والحلم الجميل
في السفح ترقص حاليات الحور والظل الظليل
وعلى الضفاف الحالمات السمر يصطفق النخيل
ونسيمها المتموج المعطار ، ممراح ، عليل

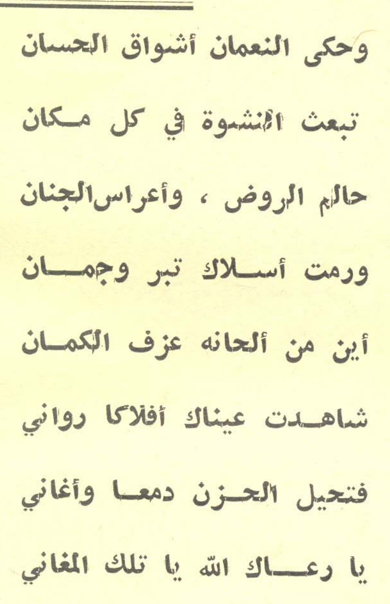
دير الزور — نظير جابر

حسناء العاصي



محمد عزت لطفي

من ديوان : أغنية الى حبيبي : صدر حديثا



هرب الليل ، فغنى الشاطئان — وحكى النعمان أشواق الحسان

ونسيم الفجر اطياف هوى — تبعث النشوة في كل مكان

والعصافير مضت جذلى الى — حالم الروض ، وأعراس الجنان

بزغت شمس الضحى من خدرها — ورمت أسلاك تبر وجمان

وجرى « العاصي » رخيا حالما — أين من ألحانه عزف الكمان

ونواعير متى شاهدتها — شاهدت عيناك أفلاكا رواني

تبعث الانات من احشائها — فتحيل الحزن دمعا وأغاني

هذه داري ، وهذا وصفها — يا رعاك الله يا تلك المغاني

* * *

ان أخت الصبح في شوق رنت — وأشارت لي بعناب البنان

أطلقت من مقلتيها أسهما — فأصابت ما أصابت من كياني

فتمشيت اليها .. منشدا — آه يا شقراء أنت النيران

فارتمت بين ذراعي حلما — رف في دل كغصن البيلسان

يا فتاتي كيف أسلوك ومن — خضرة العينين آيات بياني

وشفاه شبه الورد بها — هي والشهد المصفى توأمان

يا فؤادي و « حماة » جنة — حفلت بالسحر والغيد الغواني

لا تلمني في هواها انني — أعشق العاصي، وأطياف الحسان

* * *

لماذا أحبذ الزواج بالأجنبيات

عامر سامي الدبوني

كثيرا ما تطالعنا الصحف بين الفينة والفينة بآراء أكتسبت من حجة المنطق ما ينهضها قوية امام الرأي العام من جهة ومستثيرة ما يعتلج الاحاسيس النفسية من هواجس من جهة اخرى ، وما اكثر ما نتأثر شعورا نحن اهل الشرق والشعب العربي خاصة ، هذا الشعب العريق الذي اتصف بطابع الارهاف الحسي والتأثر العاطفي ارهافا يملك على الفرد العربي مشاعره في كل رأي ، ويسد امام تفكيره كل محجة يمكن الركون اليها في تحكيم العقل وبالتالي اصدار الاحكام على الامور

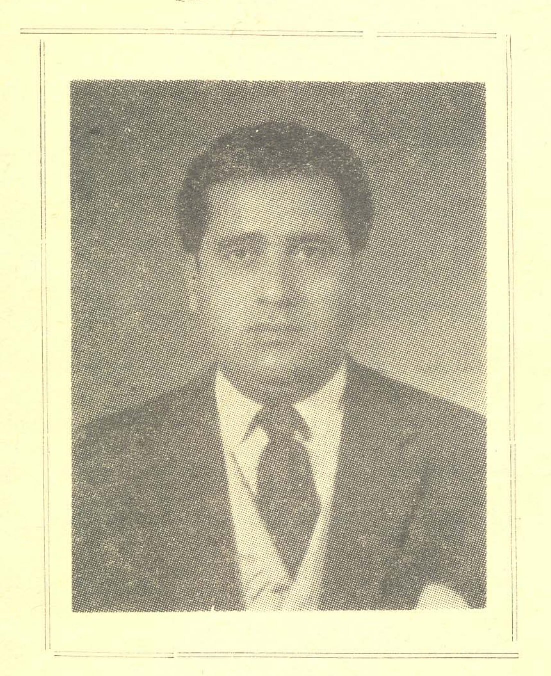
واني اذ استميح القاريء فيما أكتبه عذرا وفي موضوع من اهم مواضيع الاجتماع أثرا الا وهو مشاكل الزواج عندنا وما يواكبها من متاعب قبل ابرام عقد النكاح وبعده فاني اعرض رأيا بصراحة الرجل العربي الذي لا يعرف للمواربة دربا ولا للنفاق فيما ينطق من سبيل .

أريد أن أقول كلمة صريحة جريئة ولا يهمني بأي حال من الاحوال ماذا يكون حكم القاريء على هذا الرأي بعد ذلك وربما سيجني علي فيصدر حكما بتهمة أنا منها براء ...

وما أكثر الظالمين في ركب الحياة وما اكثر شهداء حرية الرأي من أجل تقدم الحضارة والانسانية .

وعن عقيدة وايمان .. أقولها صريحة غير هياب ولا مكترث اني أحبذ الزواج بالاجنبيات ولا احبذ الزواج بغيرهن من مجتمعنا واسباب ذلك واضحة فيما يلي : -

أولا : - لا يمكن القول ان الزواج بالفتاة الجاهلة هو خير من الزواج بالفتاة المتعلمة ولو صح هذا فمعنى قولنا ان الجهل خير من العلم ومن يأخذ بهذا الرأي فهو مخلوق دون مستوى الانسان . اذن



فالزواج بالفتاة المتعلمة خير من الزواج بغير المتعلمة أمر لا مجال للنقاش فيه في نظر الفكر السليم وهذه حقيقة طالما قبلناها فلننظر اذن ما هي نسبة المتعلمات عندنا ؟؟ وما هي نسبة طالبي الزواج من الشباب ؟؟

ان المحاولة في الاجابة على هذا السؤال يشكل امامنا خطرا رهيبا يهدد مجتمعنا ... الخطر الرهيب المنبعث عن واقع سيء جمع من السوء فأوعى ثم جمع فأوعى .

ومهما يكن في الامر من شيء فلا جدال بأن النتيجة ستأتي قائلة ان عدد المتعلمات بالنسبة الى الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين سن الزواج من ٢٠ - ٣٠ ستكون نسبة ضئيلة وضئيلة جدا . ولا اريد أن أتحدث للقاريء عن هذه النسبة فعند دوائر الاحصاء الخبر اليقين .

وعلى هذا الاساس فما كل شاب يطلب الزواج يستطيع الحصول على فتاة متعلمة واذا ما اردت التعبير

بصورة اجلى فأقول ما كل شاب مثقف يستطيع الزواج من فتاة متعلمة • ولطالما الامر كذلك فقد علمنا مدى تخلفنا في هذا السبيل •

وثانيا : ــ ان مطاليب الفتاة المتعلمة عندنا ولا أقول الفتاة المثقفة (وما اكثر السخف عند المتعلمات) كثيرة متعددة لا يقرها منطق مقبول ولا يستسيغها معقول او منقول •

تريد الفتاة المتعلمة عندنا ان تشق طريقها وعرا فلم تتلمس الطريق السوي المعبد لانها لم تبلغ الشأو الذي تبتغيه لحد الان •

وتريد ان تأخذ من مباهج الحضارة الغربيـة ما يروق لها ويحلو وتجد أمامها العقبات مختلفة كأداء مثقلة بالمتاعب والصعاب •

وتريد أن تتشبه بالمرأة الغربية وتحاول جهدها متعثرة فيما تحاول ويا لبعد الفارق فاذا بها تريد الطرف خاسئا وهو حسير •••

وهنا هنا ينهض موضع الخلاف •

سؤالا واحدا اريد ان أطرحه أمام الباحثـين للاجابة عليه !

هل استطاعت الفتاة العربية ان تحسن التشبـه بفتاة الغرب ؟

الجواب عندي انها لم تحسن هذا التشبه وان كانت سالكة في الطريق ومن سار على الدرب وصل •

وهكذا ننتهي الى الحقيقة المؤلمة ولا أقول الحقيقة المرة ؛ هي أن الكثير من فتياتنا المتعلمات خليط مـن السخف والتفاهة حتى أصبحن كالنعامة لا هي طـيرا ولا هي بعيرا يمتطى •

واضرب للقاريء الكريم مثلا : ــ

هذه فتاة حصلت على درجة بكالوريوس من احدى الجامعات • تقدم لخطوبتها شاب مثقف قد حصل على شهادة البكالوريوس ايضا ومن اسرة محترمة ذو مكانة أهم من اسرة الفتاة ، ورفضت الفتاة المتعلمة قبول هذا الشاب الذي هو أعلى منها كفاءة في كل شيء ، وقد استطاع الشاب ان يحظى بفتاة غير متعلمة وراقت له ودعى لفيفا من الاقرباء والاصدقاء لحضور حفلة الزفاف وكانت الخطيبة الاولى المتعلمة من جملة اولئك المدعوين مع اهلها نظرا لوجود صداقة بين الاسرتين ، وسـر الجميع لحفلة الزفاف التي كانت مظاهر البذخ والثراء فيها واضحة وانتهت الحفلة بزفاف العروس الى عريسها وهنا تقول الخطيبة الاولى لامها : ــ

(لو كنت أعلم أن فلانا سيقيم حفلة بهيجة فخمة كهذه لما ترددت في قبوله عريسا لي ولكن ظننت ان امكانياته المادية لا تساعده على مثل هذا •••)

وهكذا وبكل يأس وخيبة امل اضاعت هـذه المتعلمة خطيبها الامثل •••

وبهذه النظرة السخيفة من حضرة الآنسة المتعلمة انتهى القدر مع هذا الشاب المثقف الى أن يختار شريكة حياته من فتاة جاهلة لا تكاد تحسن القراءة والكتابة ••

نعم والآن فهل ان زوجة هذا الشاب الجاهلة هي خير من المثقفة الاجنبية ؟؟ الفتاة الاجنبية لا تفكر في حفلة الزفاف كيف تكون ؟ ولا تفكر كم من المبالـغ يمكن ان تصرف على القنـاني والمأكولات في حفلـة الزفاف ، رغم الاستباحة في الغـرب والتحريم في الشرق !!!

هكذا نجد ان الفتاة الشرقية مجموعة متناقضات ، قلقة التفكير ، مضطربة الاسلوب ، متناقضة التصرفات فلا هي من هؤلاء ولا هي من هؤلاء •

والفتاة الاجنبية تنظر الى الرجل وثقافته وتفكيره واخلاصه لها اولا وقبل كل شيء ثم تنظر هل يمكنها السير معه في عمر الحياة ••؟

هل يستطيع ان يوفر لها المأكل والمسكن والملبس في فترة من الزمن ؟ ولا تفكر في اكثر من ذلك لان الضمانات الاجتماعية الاخرى قد كفلتها الدولة فيما اذا فقد الزوج أسباب رزقه •

اما فتياتنا فيجب ان تبحث عن مقدار الرصيد في البنك أولا وهو غاية ما تحلم به حتى ولو كان خطيبها هذا حمارا عنودا يحمل اثقالا واسفارا •••!!

أناشيد الغريب

قنوع

خضر قنوع

نبني اليوم ..
نصلح الامس ..
نعاود النظر في المستويات
نناقش الأعلات والأسباب
نكتب للصغار قصة الكبار
نقول حقيقة المسؤولية
نخوضها معركة قاسية بيننا
نشمخ في رفعة وانفة وعنف نبيل
نحن عناد واصرار ورجولة
نحن ـ اخترنا ـ معركة الحياة

* * *

يا أيها الرجل البخيل
ايها الرجل الآخر يا ثري الحرب
نحن العطاء أيها اللص
نحن نريد ان نمضي الى المعرفة
يا شاري الضمائر وفاقد النواميس

* * *

انا ، هنا ، لنذكرك بالغد
قسوة الغد
حينما لا رحمة ـ لا عفو ـ لا جدوى ،
تفيد ..

* * *

انا ، هنا ، لنذكرك بالسنين مضت
بكل يوم تحصد فيه ما تزرع
انا لنذكرك بالسيف
أقوى ..
بالخنجر المسموم في كل آن ..
أتدري ؟ . أبدا .. لن تدري !
لا بد ان تصفو الحياة

يقولون ان الغربيين يعبدون المادة وان الشرق لا يعبد المادة ...

الا ان الفتاة الشرقية والمتعلمة خاصة تريد زوجا ممكن يكتنزون الذهب ولفضة ولو كان يجمع من رذائل الاخلاق والصفات واتصف بالجهل المطبق . وهي تفضل هذا النوع من الشباب على الشباب المثقف الواعي لمسؤولياته الاجتماعية والخلقية ويمكنه الانفاق كغيره من المثقفين المترفهين .

وهكذا تجمع فتياتنا المتناقضات .

الفتاة الاجنبية حرة في تفكيرها فهي تفكر علميا هادئا لا تقل عن الرجل في حين اننا نجد الكثير من الفتيات المتعلمات عندنا تفكر تفكيرا ضيقا ولا يمكنها ان تثبت شخصيتها الخاصة .

ومهما يكن فان الفتاة المتعلمة عندنا تحاول التقليد والفتاة الاجنبية تحاول الابداع .

وان اكثر الفتيات المتعلمات عندنا لا يمكن قابلية التقليد ايضا .

ولهذا ولغير هذا من اسباب أرى ان الزواج بالاجنبيات يساعد كثيرا على تفهم المرأة العربية اسلوب الحياة الحديثة وكيف ينبغي ان تعيش الزوجة مع زوجها وتبادله الرأي والعقيدة والكفاح في مجالات الحياة الى فترة من الزمن ...

الاشتراكية والثقافة

بقلم : بيوتر بوستوفويت ، مجاز في الآداب

لم تخرج الثقافة الاشتراكية كما خرج بالاس اتينيه من رأس زيس • انها لم تخترع اختراعا بل خلقها شعب متحرر من قيود العبودية الروحية • فالثقافة الاشتراكية الوريثة المباشرة للعهد الذي سبق ثورة اوكتوبر قد حاولت ان تتمثل الثروات التي ابدعتها الانسنية خلال العصور •

في عام ١٩٣٠ قال لينين متوجها الى الشبيبة :
« نستطيع ان نبني الشيوعية فقط بمجموع المعارف والتنظيمات والمنشآت ، بمجموعة القوى البشرية والوسائل التي خلفها لنا المجتمع القديم » •

فهل يعني ذلك ان الاشتراكية تستعمل بصورة ميكانيكية مجموع المعرف التي كدسها المجتمع القديم ؟ كلا • ان المجتمع الجديد لا يستقي من ثقفة الماضي الا ما يسهم في تطوير الفكر • وهو ينبذ كل ما هو محافظ وكل روتين •

انالاشتراكية لترث اعظم آثار المهندسينالعماريين في العصور القديمة وتحافظ بخشوع على مؤلفات دانتي وسائر الكتاب العظام في القرون الوسطى • ان سرفانتس وبالزاك ورومان رولان ودريزر ورابندرانات طاغور ، والكتاب الانسانيين من مختلف العصور ومن مختلف الامم الذين ناضلوا في سبيل انتصار الخير على الشر والعدالة على التعسف لعزرزون جدا على السوفييتين • ويمكننا ان نقول الشيء نفسه عن الكتاب الروسالكبار بوشكين وغوغول وتورغنيف وتولستوي •

« قل لي من هو صديقك اقول لك من انت » • انها لحكمة تنطبق تماما على الاتحاد السوفيتي • ولو قلب قارىء اجنبي صفحات « الآداب الاجنبية » المجلة الشعبية في الاتحاد السوفييتي ، لادرك انها تعرف تعريفا واسعا بأدب الشعوب الاميركية اللاتينية والاسيوية والافريقية وغيرها • فالثقافة السوفيتية التي تنكر تفوق هذه الثقافة على تلك لا تعيش منعزلة ، منطوية على نفسها وبنفسها ولا تقبع في برج من العاج • فجذورها التي تحمل اليك الغداء هي جذور الثقافة التقدمية في العالم بأسره ، الثقافة التي يبدعها الشعب والشعب وحده • ولهذا تجد احتجاجات الكتاب وغيرهم من الشخصيات على شراسة المتعصبين العرقيين في اميركا وافريقيا الجنوبية صدى حيا لدى السوفييتين • ولهذا نحن نحيي طموح الشعوب الى الاستقلال •

نعم ان الثقافة الاشتراكية عالمية • وفي الظروف السوفييتية ادت الروح الاممية الى انطلاق لم يسبق له مثيل فيالثقافات القومية • وثمة حركتان تتمان بصورة مكثفة في المجتمع السوفيتي : فمن جهة نرى كل امة مع ثقافتها وفنها تتطور في جميع الميدين ، ومن جهة اخرى تتقارب الامم الاشتراكية تحت راية الاممية وتؤثر بعضها في بعض بصورة متزايدة دوما وتغني بعضها بعضا بصورة متبادلة •

والحركتان تقومان على الموافقة الحرة والروح الديمقراطية • انهما توثقان عرى الصداقة بين شعوب الاتحاد السوفييتي •

ولنورد بعض الارقام • فالارقام ابلغ احيانا من الاقوال :

في جمهورية كرغيزيا الاشتراكية السوفييتية حيث لم تكن للشعب قبل الثورة لغة مكتوبة خاصة به ، جامعة وخمسة دور معلمين وكلية تربية (دار معلمين عليا) للنساء ، وثلاثين مدرسة ثانوية تخصصية ناهيك عن المدارس الابتدائية والثانوية الكثيرة في المدن والارياف •

ولم يكن في طاجكستان سوى بضع مدارس نادرة قبل الثورة • أما الآن ففيها ٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية و ٢٨ مدرسة من ثانوية تخصصية وعليا • وفي الاتحاد السوفييتي اليوم ٤٠٪ من العمال و ٢٣٪ من الكولخوزيين اتموا دراسات عليا او ثانوية •

يكتب « اختصاصيو » الثقافة البورجوازيونزاعمين ان الادب والفن في النظام الاشتراكي مقننان وانالحرية الفردية وحرية الابداع كما يزعمون لا وجود لهما في الاتحاد السوفييتي • والواقع ان لدى السوفييتين مفهوما عن حرية القول والفن يختلف مفهوم ايديولوجيي الاستعمار • فليس ولا يمكن ان تكون في الاتحاد السوفييتي حرية قول للدعاية الحربية في حين يجري في كثير من البلدان الرأسمالية تشديد الجنون الحربي • ومؤسسات النشر السوفيتية لن تطبع كتابا يبذر الخلاف القومي او يمجد « رومانطيقية » الغانغستر •

ان السوفيتيين لا يقبلون حرية القول هذه •

انهم يرفضون باسم السلم والانسانية جميع اشكال الاخلاق المعادية للانسانية ولو تزيت باية عبارات او شعارات يمكن ان تتزيا بها . اما حرية الفن الحقيقية فالاشتراكية تضمنها خلافا للمجتمعات التي ليست حرية الكاتب والفنان فيها سوى تبعية ازاء كيس نقود الاوساط الطبيعة فهي مدرسة كل فنان ، وكل يوم يكتشف فيها شيئا جديدا يغني قلبه واحساسه .. وعواطفه .

اما من ناحية المعالجة ، فالفنان مروان بلا شك صاحب خبرة لونية جيدة ، واحساسه باللون احساس نابع من نفسه هو لامن خبرته او تجاربه او اطلاعه ، وهذا ما جعلنا نطلق عليه اسم « مؤلف » لا « ناقل » ، واللون عنده مكون من اكثر من طبقة بمعنى ان فهمه لتكنولوجيا اللون فهما مبنيا على اساس فطري ، يضع اللمسة ثم يتبعها بلمسة اخرى ، ويعتمد في ذلك على حسه وعلى ذوقه ولايعتمد على مدى تاكسد الالوان وقوة فعاليتها من حيث تكامل الالوان على اساس نظرية شفريل ، ولا على اساس تطابق الالوان كنظرية نيوتن ، وهذا الاستغراق الكبير في الاعتماد على الحس وحده جعل اكثر لوحاته - كما قلت - متشابه من حيث المعالجة ، ومتغيرة من حيث الجو اللوني العام ، عنده اللوحة الحمراء، وعنده اللوحة البنية التي يسيطر عليها اللون البني بدرجاته ومشتقاته ، وعنده الرمادية من فضيلة الالوان الرطبة الباردة . ومن خلال جميع هذه اللوحات تطل علينا شخصية مروان ، بمعنى ان تعدد اجوائه لم يقتل شخصيته الفردية في الفن .

والذي نريده للفنان مروان ان ينزل من جديد الى البساتين .. الى الطبيعة الام ، ليعمر قلبه من جديد بالطبيعة ، ويغذي احساسه من جديد بما في الطبيعة من المالية القادرة على كل شيء .

لقد اغلقت اميركا ابوابها دون الممثل العبقري شارلي شابلن . لماذا ؟ لان عمله كله غريب عن اعماقه عن اخلاق ارباب المال . ان مأساة رجل عادي في اميركا ، عرضها شابلن على الشاشة قد كانت ضربة مسددة الى بلد « الحرية » فقد حرمت شابلن من وطنه .

والشاعر التركي ناظم حكمت مبعد عن وطنه ولكنه ما يزال حتى اليوم يتغنى في اشعاره بحب موطنه وبحب البشر .

ليست المصلحة الانانية وروح الوصولية هما اللتان تحرضان على الابداع الفني في الاتحاد السوفييتي . فالفن والادب في بلاد السوفييت يخدمان الشعب لاعائلات اصحاب الملايين . والشعب خالد بعمله . لقد كان دائما وسيظل مبدع جميع القيم المادية والروحية . والفن الذي رسالته تجسيد الفكر الخصب اللامتناهي لدى الشعب والتعبير عن احلام وآمال الشعب لا يمكن ان يكون مقيدا ، رتيبا ، خاضعا لسرير بروكوست[1] ، لوحشية قواعد جامدة . وليس عرضا ان يبحث الفن الاشتراكي المعاصر دون كلل عن اشكال جديدة للتطور : فالرواية تتطور والشعر الوجداني يكتسب محتوى اجتماعيا وتحصل الصحافة الفن على حق الواطنية ويغتني المسرح بتمثله اساليب السينما . ان هذا الميل لدى الفن السوفييتي نحو التجديد ، نحو تجارب جريئة ليتعارض بصورة واضحة مع التمسك بالشكل ، مع براعة الحيلة والخداع ، مع عبوس دعاة التجريد والتوهيم الذين اقاموا مكان الانسان في فن الرسم خطوطا او رسوما هندسية جامدة وجعلوا منه في فن النحت روبوت او أبله ورسموا له في الادب اطارا من المخدرات والجاذبية الجنسية .

أليس على حرية الانسان على انطلاقه الروحي ما تسهر الدولة السوفييتية التي تريد ان تعطي الجميع التعليم الثانوي والعالي وتنشر في كل مكان الجامعات الشعبية الثقافية وتطلع الشعب على العلم والادب والفن عن طريق محاضرات وباجتذاب الجماهير الواسعة الى الاسهام في نشاط الفنانين الهواة .

« كلما نمت الاشتراكية وتطورت ، كلما استطاعت ووجب عليها ان تعطي المزيد من الخيرات المادية والثقافية للشعب » . هذا ما قاله نيكيتا خروشوف في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي .

ان كل تاريخ المجتمع السوفييتي وتاريخ البلدان التي تبني الاشتراكية على غرار الاتحاد السوفييتي يثبت انه حيث لا تكون ثمة طبقات متعارضة وانه حيث يكون الشعب هو السيد ، يضع ثروات البلاد الروحية بحيوية هائلة خصبة في خدمة الشعب كله .

---

(١) بروكوست لص من الميثولوجيا كان لايكتفي بسلب المسافرين بل يمددهم على سرير ويقطع ارجلهم اذا فاضت عنه او يشدهم بالحبال ليمطهم اذا كان اقصر من السرير . وقتله تيزيه باخضاعه للعذاب نفسه .

وسيعرفونك إذ يمر الجيل

قنوعي

حنا الطباع

قيلت في رثاء المغفور له الدكتور رشيد معتوق

أأشط عن نهج الهدى وأحول … ان قلت انك ملهم ورسول

وعلى الهضاب وكل سفح قائم … من معجزاتك شاهد ودليل

روت الدروب حديث سيرك في الدجى … اما دعاك من الانام عليل

فهناك من قدميك آثار على … حصبائها تبقى وليس تزول

نطق الجماد بها وفي تاريخها … يتنافس المعلوم والمجهول

* * *

يا سيد الطب الذي ايمانه … بالطب لم يسبق اليه مثيل

لما حملت صحيح مبضعك امحى … ما كان قبلك خلف التدجيل

فالطب عندك غاية مثلى بها … يتفيأ المسكين والمعلول

فكان جالينوس فيك ممثل … وكان آيات الوفا تنزيل

وكان بقراطا يقول مباهيا … الآن فيك تحقق المأمول

قل اي بربك من سواك من الورى … للناس عاش وعيشه مغلول

ومن الذي يشقى ليسعد غيره … الاك يا من قلبه القنديل

من راح غيرك في تواضعه اذا … ما بجلوه يسوءه التبجل

الطب جسد فيك انسانية … بخلودها ان الزمان كفيل

* * *

شق الثلوج الى المريض ولم يخف … خطر الثلوج كأنه جبريل

واذا رأى ذا حاجة او فاقة … أدى له ما حاجتيه يزيل

فوسائد المرضى هناك عليمة … من كان يؤثر بالعطا وينيل

ومن الذي حل المشاكل قرشه … الاك يا من كيسه محلول

ومن الذي شد الحزام منبها … ان البطون من الشراهة غول

لله أنت فليس تبلغ دون ما … علمت افئدة لنا وعقول

حتى الحقول فقد كسوت شبابها · شجرا فأنبتت الرياض حقول
حملت على البركات كفك زرعها · فنما البذار وكدس المحصول

* * *

مهلا بني قومي فان فقيدنا · لم يغره التبجيل والتهليل
ولقد تعلق بالحقائق قلبه · فمشى وليس يخيفه التهويل
سد النوافذ والثقوب فلم يجد · ثقبا لتفريق الصفوف عميل
فنمت اخوتنا وزادت منعة · ان الاخوة صارم مسلول
نزل الهلال على الصليب معانقا · فتعانق القرآن والانجيل
وتحولت هذي الديار لقلعة · وطنية وتحطم التضليل

* * *

تيها بني قومي فان فقيدنا · في كل حقل عامل ونبيل
لم يخش بطش الاجنبي ولم يهن · عزما ولم يستهوه التمويل
نبذ التلون والتزلف وانثنى · ابدا يعرج للعلى ويميل
واذا دعا داعي البلاد وجدته · اسدا يزمجر دونها ويصول
يمشي لواجبه ولا يخشى الردى · ولسانه بالقائلين يقول
ويل لمن يلقى الغزاة مصفقا · وشعاره التزمير والتطبيل

* * *

فرد ولكن بالجبال عزيمة · وكأنه عن امة مسؤول
ما مر يا معتوق مثلك في الورى · شهم كريم عامل وحمول
اني أتيت مطوقا بتحية · بردى اليك يزفها والنيل

* * *

نم يا عظيم العصر انك خالد · ولسوف تعظم ما الزمان يطول
كم ليلة عيناك لم تذقا كرى · لينام جفن بالدموع بليل
فسبقت هذا الجيل جيلا كاملا · وسيعرفونك اذ يمر الجيل
ولقد فعلت بما أتى عيسى به · من غير معتوق لذاك فعول

حنا الطباع

فنون والوان

تنوع

تجربة الاحساس والعفويه في أعمال الفنان مروان شاهين

بقلم : غازي الخالدي

عندما نطلق صفة الجمال على شيء ما ، فاننا في الحقيقة نسلم بان نسبا رياضية معينة هي التي تثير فينا ذلك الانفعال الذي يرتبط عادة بالاعمال الفنية •

والفنان يقف أمام الطبيعة ، يجد امامه قيما جمالية مختلفة ، وكثيرة ، ودوره الحقيقي يبدأ من النقطة التي يبوب فيها ذلك الجمال الفطري الموزع في انحاء النظر ، ويختار الذي يحس به ، ويتعاطف معه ، والذي يشكل بالنسبة له موضوعا له ابعاد ثلاثة في التصوير الزيتي ، واربعة ابعاد في التشكيل المجسم مثل النحت •

وتبدأ العملية الفنية موزعة بين الطبيعة ، وقلب الفنان وعواطفه ، وبين ريشته التي تمثل خبراته السابقة وتجاربه العديدة ، أما عمليات المنطق العليا والعقل فانها تأتي بالدرجة الثانية حتما لان العواطف الصادقة هي التي تولد الاحساس الصادق في الفن ، وان ميزات الفن السليم هو الاحساس ، فبقدر ما يكون صادقا ومتدفقا تلقائيا لا قسريا بقدر ما يكون العمل الفني متحركا وذا قيمة جمالية عالية • واذا ما توفرت لدينا الحساسية للشكل فاننا نجد ان النسب التي تتمثل في الاشكال



ممتعة بوجه خاص ، وان العمل الفني الذي يبنى اساسا على هذه النسب مع توفر العوامل الاخرى معروفة في الدراسة الاكاديمية يكون ممتعا للغاية •

هذا من ناحية الاحساس ، اما من ناحية اللون فهو المظهر الخارجي للشكل ، والتنوع في المجال اللوني يتمشى مع التنوع في انفعالاتنا ، فاللون الاحمر مثلا من المعروف انه يتمشى مع انفعال الغضب ، ومن الناحية الفسيولوجية ان عدد الموجات او الاشعة الضوئية الساقطة على شبكة العين هو الذي يقرر ما نحس به من متعة او ضيق •

وقد يكون للاحساس بالسرور والضيق جذور باللاشعور ، وهي على كل حال جزء من التكوين المزاجي لكل فرد ، ومثل هذه القيم الترابطية لا علاقة لها بالقيمة الجمالية للون في حد ذاته ، بالرغم من انها ترتبط ارتباطا كبيرا باستجابة شخص معين لعمل فني معين •

من هنا •• ومن خلال اعمال الفنان مروان شاهين

نرى تلخيصا لوجهات النظر المتعلقـــة بالقيم الجمالية ، سواء من حيث تحليل الشكل ، او من حيث المظهـــر الخارجي له ، أي اللون ••

والعملية الظاهرة في اعمال هذا الفنان أنها تعتمد اعتمادا كليا على الحس ، وعلى التجربة الانفعاليةالبحته ، بحيث يحاول ان يبني تشكيلات في اللون تعوض عـن الشكل البنائي نفسه الذي تحدده ابعاد ثلاثة •

ولما كانت العملية الحسية مرتبطة باللاشعور اكثر من ارتباطها بالمنطق الرياضي فان النسب الرياضية التي نجدها في اعماله ، ليست هي النسب العلمية التي تشكل قيما جمالية اكاديمية • ومن هذه النقطة بالذات ينطلق الفنان مروان الى افق اللون ، وعلاقته بالطبيعة ، ومـن ثم ارتباطه بنفسه وعواطفه ولا شعوره • وهذا ما يجعل الرائي لاعماله ، يحس تارة بالسرور وتارة بالضيق لان العمل الفني الذي امامه انما يعكس بصدق لحظـــات انفعالية عاشها الفنان مروان وهو يمرر بريشته على سطح اللوحة • قد تكون هذه اللحظات سعيدة او غير سعيدة ، ولكنه على كل حال كان صادقا في تسجيلها ، وعمليـة الصدق هذه لا تأتي قسرا ، انما بشكل تلقائي عفوي وهذا ما يميز فن الهواة عن فن الدارسين •

فسواء كان الذي يرسم هاويا بدائيا ، كالطفل او الرجل غير المثقف اطلاقا ، او هاويا من النوع المثقف الواعي ، ذي الخبرات والتجارب واطلاع ، فان فـن الهواة بشكل عام يعتمد على الحس اكثر ما يعتمد على المنطق الرياضي ، والنسب الرياضية الجمالية ، وعلى الاصول والقواعد التي نتعلمها في الاكاديميات •

فطالما ان الموضوع هو الاحساس ، والاحســاس لا يرتبط بالشكل، ولا يحده حد ، فلماذا يحاول الفنان مروان ان يحجز عواطفه واحساسه ضمن اشكال مثلا ؟

ولقد ثبت لدى الاحصاء الاخير الذي اجـراه الناقد والفنـــان المعروف « تشيزك » ان فن الهواة ، عموما ، هو اشـد انواع الفنون حساسية ، وتدفقـا وبساطة ، لان عملية الاحساس التلقائية ظهرت في مزج الالوان •• وطريقة سيرها على سطح اللوحة ، وهي تعتمد بالدرجة الاولى على الحرية بأوسع معناها ••

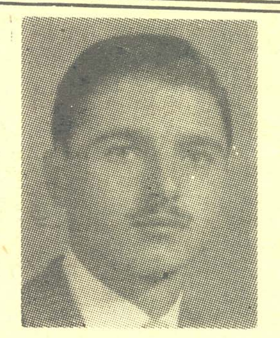
من هنا ندرك ان الثقافة والتعلم في الفن ليس كل شيء ، فالاحساس اساس كل فن على الاطلاق •

فحتى لا تقل قيمة هذا الاحساس ، وحتى لا تضيع على الرائي القيم الحسية في اللون وتحركاته على سطح اللوحة ، صار من الضروري على الفنان الهاوي ان يبتعد عن الاشكال التي تقيده ، وتجعله ينصرف الى نسب والى قياسات والى قواعد •• مثل رسم الوجوه والاشخاص • ومجال اللون مجال واسع فسيح تماما ، ومروان استطاع الى حد بعيد ان يتصرف بالقيم الكثيرة المتوفرة فـي الطاقة اللونية في انطباعاته عن المناظر الطبيعية ، ويبدو من خلال اعماله انه مؤلف اكثر منه ناقل ، وهذا بلا شك مـــن الميزات الاساسية في العمل الفني ، بشرط ان لا يستغرق الفنان في محاولة استبطان نفسه ، والغوص فيهـــا لان ذلك سيجعله حتما يكرر الوانـه ويكرر موضوعاته • فالنفس لها طاقة وحدود ثم تنتهي ، امـــا سحر ، وجمال ، وقيم تشكيلية لا تنتهي عند حد ، وايحاء غزير غير •• وليترك العنـــان لاحساسه ان يتعامل مع الطبيعة ومع الالوان لتنطلق على سطح اللوحة بجرأة •• وحيوية وعفوية وصدق •• دون ان يجبر نفسه ويحدد احساسه في اطارات الدراسات الاكاديمية والاشكال المحددة المرسومة ونحن ان نؤكد للجميع انه لا يوجد نمط فني واحد ينبغي ان تخضع له جميـــع انماط البشر ، بل يوجد من انماط الفن المختلفـــة بقدر ما يوجد من انماط البشر ، وان الاقسام التـــي تنتظم الفن يجب ان تتفق بطبيعة الحال مع الاقسام التي تنتظم البشر ، وان كل نمط فني هو من الناحية العلمية تعبير مشروع عن نمط من الشخصية النفسية • فمن الناحية العلمية يكن القول بان الواقعية والمثالية والتعبيرية والبنائية هي جميعا ظواهـــر طبيعية وان جميع المدارس المتخاصمة التي ينسب البشر انفسهم اليها انما هي من مخلفات الجهل والتميز • ان تخير محـاسن الانماط الفنية ينبغي ان يكون من الرحابة بحيث ييسر الاستمتاع بكافة مظاهر الدوافع الابتكارية الانسانية • واقصد من هذا كله انه ليس من الضروري بالنسبة للنقاد ان يبحثوا عن مدرسة او اتجاه لكل فنان •• وخاصة الهواة منهم فلكل نمط من انماط البشر يمكن ان يولد نمطا مـــن انماط الفن • والفن بحر واسع عريض •• يتسع لكل الامكانيات •• والامكانية الجيدة تعيش •• والهزيلـة المريضة تغوص في الاعماق والزمن هو الذي يحكم !

دمشق ـ غازي الخالدي

نداء من القلب

عدنان خضر



هواك بقلبي ظاهر ليس يكتم ... وانت بما في القلب أدرى وأعلم

ولو رمت كتمان الغرام لافصحت ... ينابيع دمع فاضح يتكلم

* * *

سفين حياتي تاه في أبحر الهوى ... وأمواجها غضبى ولا شيء يعصم

وبرح بي وجدي فبين جوانحي ... فؤاد معنى في هواك متيم

وليلي طويل المكث قاس وقاتم ... فاما انقضى فالصبح أقسى وأقتم

* * *

حنانك ، قلبي مولع شطه النوى ... وأضناه ما عانى ، ومثلك يرحم

فلبي ندائي حين أدعوك للهوى ... فما من فتى عن نزعة الحب يعصم

فان خفته صابا يعاف وعلقما ... فقد لذ لي صاب يعاف وعلقم

وان بك نارا يصهر الرمل والحصى ... لظاها ، فقد حلت بقلبي جهنم

* * *

أجيبي نداء القلب فالحب روضة ... يمتع فيه المستهام وينعم

أدب شعبي أم دعوة للعامية

بقلم : فيصل عمران القاضي

لا أقصد بهذا المقال أن اتحدث عن العامية كأداة من أدوات الفن الشعبي أو اسلوب من اساليبه . فحين تكون اداته العامية يكون جاريا على اسلوب معهود . وفي عهود التفرق واتساع رقعة الوطن رأينا نشوء اللهجات المحلية ورأينا بعد ذلك وضع القضية على هذه الصورة ! وكأن هذه الثنائية الناشئة عن وجود اللهجات صارت مسألة مفاضلة . فحيث تشيع الامية تكون الثنائية . وهذا الازدواج بين العامية والفصحى ناشيء عن عوامل أخرى . فأنا لم أقصد الكتابة عن العامية كاسلوب من أساليب الفن الشعبي ولم أقصد الموازنة والمفاضلة لان لي رأيا في كليهما وانما قصدت الى التحدث عن موضوعين مختلفين هما الفن الشعبي حين يستعمل العامية وبين الشعر الجديد المنظوم بالعامية .

فالعامية أداة يستعملها عامة الشعب في المعاملات اليومية في السوق والبيت والشارع والكنيسةوالمسجد . واللغة الفصحى لغة مشتركة لكل من ينطق بهذه اللغة فهي لغة العرب الرسمية في كافة اقطارهم وتحظى بعناية هامة لما لها من مميزات لا تجدها في اللهجات العامية من حيث الضبط والدقة في النحو والصرف والاشتقاق واستيعابها لنشاطنا كله . انني لا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه اللهجة ولا اريد ان أتوسع في هذا الحديث لان هذا البحث لا يستوعب هذا الاتساع الذي يمتد ويتسع في المكان كما يمتد ويتسع في الزمان . ان التحدث باللهجة العامية تابع لعوامل خارجة عن هذه اللهجة لان لها قوانين تكونها وقوانين اندثارها وفي القوة والضعف وفي الارتقاء والنشوء وفي الاندثار والممات تؤثر عوامل السياسة والاجتماع والاقتصاد فهي لهجة الشعب اليومية حين يتحدث وحين يناقش وحين يؤدي أغراضه ومجالها هذا معروف . واللغة الفصحى يستعملها المواطن العربي باسلوب مبسط بحيث يستطيع أن يفهمه المستمع حين يتحدث واللغة هذه لغة كتابة ولها قواعدها واصولها وهي متسعة لكافة نواحي النشاط البشري وهي تحمل تاريخ العرب وثقافتهم وهي لغة كتبت بها كتب العلم والمعرفة فهي ارقى من حيث المحتوى من اللهجة الدارجة . والقرآن الكريم نزل بلغة قريش وقد كان للعوامل الدينية سواء كانت وثنية قبل الاسلام ام اسلامية بعد نزول القرآن شأن يذكر في ترسيخها وتعميمها . فوجود الاصنام وعبادة العرب لها جعل لهذه اللهجة شأنها المعروف في جمع كلمة العرب . وحين جاء الاسلام كانت لغته لغة قريش او لهجة قريش . فهذا العامل الديني والسياسي جعل اللهجات الاخرى عند القبائل العربية تأخذ من هذه اللهجة مفرداتها والفاظها وتؤثر فيها . والشاعر الذي يعيش قريبا من قريش أو يرتبط بقريش بوشائج ينظم شعره بهذه اللغة . لقد نظم شعر بغير لغة قريش ولكنه لم يكن بهذا الاتساع والبون مثلما نرى الفرق بين الفرنسية والانكليزية . فالشاعر اليماني يفهم لغة قريش . وفي الاسلام رأينا سيطرة هذه اللغة وقوتها . ولا تحدثني سيدي القارىء عن اللاتينية فقد اثرت عوامل السياسة والاجتماع في اندثارها وكانت لغة الدين ولغة الدولة غير ان انحلال الدولة الرومانية واندثارها كان سببا في ظهور اللهجات العامية . فالسياسة لها اثرها في تعميم اللاتينية والسياسة لها اثرها في اندثارها . ان نشوء العاميات في جنوبي اوربا وغربها والقضاء على الاقطاع ونشوء الطبقة البرجوازية مظهر من مظاهر هذا التطور والتحول . فالثورة ضد النبلاء وسلطان رجال الدين وارتباط الدولة الرومانية بالاقطاع شجع على وجود طبقة متنورة . أضف الى ذلك ان اللاتينية كانت لغة رجال

الدين وليست لغة الشعب كله ولها مجالها المحدود في أداء الطقوس الكنيسية بينما نرى الفصحى المبسطة مفهومة في كل الاقاليم العربية لانها لغة حية واللاتينية في طريق الاندثار بل هي مندثرة بحكم الواقع .

فاللغة العربية الفصيحة لغة الدين ولغة المواطن العربي . وتعود عوامل السياسة الى التأثير فلئن آمنا بأن الفكرة القومية ليس لها ارتباط بأي دين لكنها تؤمن بالمشاعر الروحية وهي جوهر كل الاديان وان دواعي التضامن والوحدة بين الاقطار العربية اقوى من دعائم الفرقة . وأنا أتحدث عن الشعب . والوعي الثوري العربي آخذ بالتقدم والصعود . اللغة العربية الفصحى لغة كل عربي مهما كان دينه وهي لغة الثقافة والعلم والتاريخ المشترك والمشاعر النفسية المشتركة .

فلقد كان للعرب تراث شعبي موحد . والشعب حين يتحدث بمثل في العراق تجده في تونس واذا سمعت عن حكمة في السودان رأيت لها مثيلا في لبنان (الفنون الشعبية لرشدي صالح) و (مقال الفنون الشعبية في سورية لشريف الراس) ... ان عوامل السياسة تجعل المواطن العربي في اي قطر يقف بمشاعره مع المواطن في قطر آخر ونحن احوج الى الوحدة منا الى الفرقة . وهذه الاقليمية والتجزئة لم تكن متأصلة في وجدان الانسان العربي فقد كان العرب قديما بعد تكون الدولة الاسلامية وبعد تحضرهم ينتقلون من مكان الى آخر ولا يعترض طريقهم حدود ولا سدود وظلت الحال على ما كانت عليه سابقا في زمن التحكم التركي ولكن بعد الحرب العالمية الاولى اسطاع المستعمرون أن يقسموا البلاد العربية ويخلقوا من كل قطر عربي شخصية معينة . وجاء دور البرجوازية من أجل الدفاع عن مصالحها الطبقية في اضفاء هالة من القدسية على هذه التجزئة المصطنعة والاقليمية . ولئن نشأ الادب العامي أو قل بدأ التحدث بالعامية فلذلك اسباب منها هذه الاقليمية التي خلقها الاستعمار ونمتها الرجعية . ان الدعوة للعامية دعا لها السير وليم ولكوكس . فقد دعا الى التخلي عن اللغة العربية الفصحى وعلل ضعف (المصريين) وضعف قوة الاختراع عندهم الى تعلقهم بلغتهم العربية الفصحى . ان القومية العربية وهي انتماء ووجود دعوة قومية من اجل العروبة والاشتراكية والوحدة لها لغتها الفصحى ولكنا نعود الى مجال حديثنا وهو متسع ...

فالشعب يتحدث في كل الاقطار العربية بلهجات دارجة كثيرة . وهذه العامية تختلف في قطر عنها في القطر الآخر والعامية في القطر نفسه تختلف من مكان الى آخر . وهنا تتدخل عوامل السياسة فالمؤمن بالاقليمية والتجزئة يدعو الى التفكيك والى سيادة اللهجات العامية بينما المؤمن بالعروبة يدعو الى لغة موحدة هي اللغة الفصحى المبسطة وهي لغة العرب أجمعين ولم يثبت لنا ضعفها حتى نتخلى عنها ونتركها الى لهجات ضعيفة . فأنا افضل الفصحى المبسطة على العامية لان المواطن العربي حين يستطيع أن يقرأ هذه اللغة المبسطة يرتفع مستوى العامية الى مستوى هذه الفصحى بأثر الوعي والتعليم وكثرة المدارس . ولكن هذا الدفاع عن اللغة العربية الفصحى ليس معناه ألا نجعل في الوقت الحاضر للعامية مجالها الخاص . فأنا أؤيد طبع الصحف والمجلات والكتب بالعامية لكي يستطيع أن يفهمها أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب من غير المتعلمين وأنا أرى ان يتحدث الانسان باللجة التي يفهمها . هذا واقع نؤمن به غير ان وجود العامية والكتابة بها من أجل تثقيف الشعب شيء وأن نسمي من يتحدث باللهجة الدارجة من المثقفين بالاديب الشعبي فشيء آخر . فالفلاح الريفي حين يتحدث بالعامية يصدر عن عفوية وبساطة بينما حين يتحدث المثقف بالعامية يكون كلامه أقرب الى السخرية منه الى الادب فهو يتكلف في كلامه بينما لا يتكلف المواطن الذي لا يحسن القراءة والكتابة حين يتحدث بالعامية . والمهم هو ايجاد طبقة متعلمة وايجاد وعي ثقافي وعوامل السياسة والاقتصاد والاجتماع تعود لتبدأ أثرها في عملية التحويل من العامية الى الفصحى وبالعكس .

فقصيدة الشعر التي ينظمها المغنون في الارياف من الادب الشعبي بينما تكون قصائد المثقفين المنظومة بالعامية من (الادب العامي) ذلك لان طريقة من طرق التعبير وهي أسلوب من أساليب التفكير ولقد حدثنا علماء النفس عن هذا المجال • فأنا حين أتكلم لترتبط الفاظي بمشاعري وافكاري ولن يكون هناك فاصل بين التفكير والتعبير • فالعبارات تحمل مشاعري وأفكاري حين أفكر بالعربية الفصحى بينما يفكر الريفي بالعربية المحلية الدارجة والمهم في الادب صدق التفكير وصدق التعبير وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا • فالمشاعر التي يعيها الريفي من لفظة عامية قد لا استطيع أنا أن أفهمها الا عن طريق عقلي أو معناها المعجمي ولا أصل الى المشاعر والخلجات المرتبطة باللفظة شعوريا •

فالفنون الشعبية أو الفولكلور أو المأثورات أو المرددات الشعبية تتصل بما للشعب من تراث حي فيه ما هو باق من القديم ويؤثر في حياة الناس العادية • والعناية بالفنون الشعبية مرت بأدوار فرأينا عناية العلماء في الغرب والشرق بجمع التراث الشعبي المتداول بين الناس وكان هؤلاء العلماء يميزون بين نوعين من الفنون غير هذا الفن الشعبي هما الفن البدائي والفن المتحضر• ففنون الانسان في مرحلة العهد البدائي بقي منها في حياة الناس ما هو أقرب الى الاساطير من معتقدات • ان حياة الانسان في طفولته الاولى يبقى منها ما هو مترسب في ذهنية الناس في عهود الزراعة والعهود الاخرى التي تبعته • فالعناية بالفن الشعبي حديثة واقدم الدراسات حول هذا الموضوع كانت في الغرب ومرت هذه الدراسات في مراحل متعددة حتى وصلت الى أيدي القراء كخبرة انسانية واضيفت الى حقائق الادب الخالدة • فالفن الشعبي و كل ما يخص الشعب من حكم وأغان وأساطير وأزياء ومعتقدات كل ذلك نستطيع أن نجمعه من أقوال قائليه أو ناقليه من البسطاء دون تحريف ودون أن ننقل ذلك الى لغتنا العظيمة او نشوهه • والتراث الشعبي كتراث باق في حياة الانسان لا نعرف قائله الاول بل صار ملك الجماهير وهو مرتبط بهذه الجماعة ارتباطا وثيقا • فالفن الشعبي ملك للجماعة وينسب اليها وقليل من هذا الفن يعرف قائله على حد تعبير رشدي صالح (في كتابه الفنون الشعبية) •

ان العناية بالفنون الشعبية جاء عند ظهور الروح القومية في اوربا فقد كان الباحثون يجمعون كل مايكون من خصائص الامم لكي يعرفوا عاداتها وتقاليدها • وهذه الروح القومية ظهرت كأوضح ما تكون عند القضاء على الاقطاع والرق والعبودية فظهرت حركة تنوير لكشف خصائص هذه القومية او تلك بهذا التراث ودرسوه دراسة علمية منظمة فعرفوا من الاسطورة والاغنية حياة الامم ومعتقداتها • وعرف الباحثون ما هو مشترك بين الامم من فنون شعبية • فهذه الثورة على الاقطاع جعلت الاتجاه نحو دراسة الفرد عاداته واخلاقه ومعتقداته وظهرت دراسات علم الانسان فاهتم الباحثون الاجتماعيون بالفرد وعرف الباحثون ان هذا الفن الانساني له ارتباط بالجماعة وعاداتها • أضف الى ذلك الروح الرومانسية فقد أراد الرومانسيون أن يتمسكوا بتراث البشرية القديم في العودة الى الطبيعة التي لا تكلف فيها وكل هذا الاندفاع ولده الخوف من الآلة ومن ازدياد أثر المال في حياة الانسان فخافوا على تراث قوميتهم من الزوال • اذ أن اخلاق المجتمع الزراعي تختلف عن اخلاق المجتمع الصناعي وفي هذا دعوة الى الهروب من واقعهم الصناعي والتشبث بمبادئهم وعاداتهم وتقاليدهم الزراعية القديمة • وكان الغرض من هذه الدراسة معرفة عادات الشعب وتقاليده • هذه الفنون الشعبية كتبت بلغة دارجة أو لهجة دارجة وليس المهم في الوقت الحاضر حين نضعها تحت المجهر ان نعيدها الى الحياة مرة ثانية فتلك لها ظروفها التي عاشت في مجالها على حد تعبير الاستاذ العقاد وفي مقال له عن المرددات في مجلة الشهر •

فدراستنا لأغاني الريف في العراق تصور لنا سيطرة الاقطاع والجهل وخوف الفلاح وحرمان المحب والمجتمع الطبقي ووجود العذل • اننا نتصور الحياة الاجتماعية التي تصورها لنا الاغنية فدراسة مفردات الادب الشعبي تجعلنا نربط بينها وبين الكلمات الفصيحة في تطورها وتبدلها • ان العامية لغة فصيحة فيها أخطاء وبمرور الزمن وتباين الجماعات ووجود الامية ظهر البون شاسعا بينها وبين الفصحى • ان بداية هذه العامية كان في وجود اللحن بين المسلمين من غير العرب بعد أن أسلموا • فقصدنا معروف من توضيح أسس هذه العامية • واننا حين ندرس التراث العامي لا نريد ان نفصله عن الادب الفصيح ولكنا نريد ان ندرس تراثا خالدا ضائعا وغير معروف من هذا التراث الشعبي • ان الادب الشعبي يصور وجدان الشعب وعاداته بعيدا عن الحكام وبعيدا عن السلطة وهو يصور عادات وتقاليد الشعب خير تصوير لانه بعيد عن عين الرقيب حين يؤيد ما يريد ان يؤيده ويرفض ما يود رفضه من الحديث والكلام • ان الادب الشعبي يصور عادات الشعب واخلاقه ولكن ليس كل ما كتب باللهجة العامية من الادب الشعبي لقد قرأت بعض البحوث التي نشرت عندنا في العراق عن الادب الشعبي فرأيت الكتاب يتحدثون عن وجود اللحن • فهل حين وجد اللحن يجعلنا نعتقد بصحته ؟ وهل وجود هذه الثنائية من فصحى أو عامية في كل قطر عربي يجعلنا نؤمن بها كواقع يجب ان يبقى ؟ وحين نقل الجاحظ وابن خلدون بعض هذه الاخطاء هل نعتقد بأن ذلك يساير خط التطور ؟ ان الكتابة بالعامية والتحدث بها جاء متأخرا حين شاع اللحن • وقد كان العرب يرسلون اولادهم الى البادية حيث لا عجمة في الألسن بل طلاقة وعذوبة في النطق • انني اعارض أن ينظم أديب قصيدة باسلوب عامي ويقول (هذا ادب شعبي) ! مما ندعوه بالفولكلور • وعند ذلك نميز بين ادب اللهجة الدارجة وبين الادب الجماهيري الشعبي ولو أنه مكتوب بلهجة دارجة عامية • ان هذه الذخيرة من الادب الشعبي تفيدنا في رفع مسوى أدبنا الفصيح ونحن نريد تطوير واقعنا • لقد كان الادب الشعبي قبيل الاستعمار التركي موحدا أو أقرب الى التوحيد • فأمثال وحكم وموال واغاني واساطير كل جزء قريبة من مثيلاتها في الاجزاء الاخرى • وقد أثرت عوامل الهجرة الثقافية في هذا الاتصال ولأنها تنبع من نفسية واحدة وتربة واحدة ولغة واحدة • اننا قادمون على مرحلة جديدة ثورية في خلق مجتمع عربي متكامل فليكن للادب دوره الكبير في انماء هذا التعاطف • ان انصار العامية يرومون مقاصد سياسية في مهاجمة اللغة الفصحى • ولو جدلا سلمنا بما يقولون فهذا يشجع على زيادة الفرقة والتباعد • وهذه لغتنا العربية الفصحى تتحدى الدهور والعقبات فلنكن نحن من ينهض بها ويقيلها من عثارها ، فهناك عاميات لا عامية واحدة في كل قطر وهناك لغة عربية واحدة فصحى تحمل تراثنا ومعتقداتنا وتاريخنا ووجودنا ونحن نقول لهم بأن القضاء على الامية وعلى عوامل التفرقة السياسية والاقتصادية لقاض على هذا الاسلوب العامي والمسألة مسألة زمن ولكنا لا نعارضهم في دراسة هذا الادب الشعبي لانه ينقل وجدان شعبنا في كل جزء من أجزاء وطننا العربي الكبير ونحن لا نعارضهم في نشر الكتب والمجلات باللهجة العامية • أما عن الازمة التي تصيب شعرنا الجديد فليس مردها الى أنه مكتوب باسلوب فصيح • فالواقعية واقعية المضمون واذا وضع شاعر من الشعراء جبين شعره كله في طريق (الريل وحمد) ، فهذه القصيدة لم يكتبها الشعب ولم يروها الشعب بل هي قصيدة تحتذي هذا الادب الشعبي • ونحن حين ندرس الادب الشعبي نفهم منه شعبنا وعاداته • ان الادب الشعبي يصور وجداننا وهذا خير معين لتصوير الفترة التي قيل فيها هذا الادب •

ـ للبحث صلة ـ

العمارة ـ الجمهورية العراقية

فيصل عمران القاضي

أعيش هواك

شعر : ناديا نصار

أعيش هـــواك وفي مقلتـــي
من السهـــد دمع هوى حـــائر

أعيش هـــواك وفي خـــاطري
احـــاسيس يندى بها خـــاطري

واسأل عنك رفيف الخيـــال
وراء المشاعر ... يا شاعري

لا تر كنفســـي لدنيا هواك
لبـــدعة الهـامك الساحـــر

افتش عنـــك بليـــل الهموم
هنـــاك مع القمـــر الساهـــر

لابعـــد عني بقـــايا الجراح
واغفو عـــلى الحـــلم السامر

وقلبي يهـــل وراء الرجـــاء
ليقوى على القـــدر الجـــائر

فـــالمح في مجـــديات الخيـــال
خيـــالك في الخـــاطر العـــابر

واسبح فوق مجاري النجوم
طـــويلا مع الفلـــك الدائـــر

اســـامر آلهـــة العاشقين
واحيـــا مع الامـــل الزاخـــر

لتعلـــم اني وفيـــة حبـــي
واين الوفي مـــن الغـــادر

في ١٥ / ١٢ / ١٩٦٢

ناديا نصار

لمناسبة مرور مئة سنة على مولد

قسطنطين ستانسلافسكي

صائغ المواهب

شاب ستانسلافسكي قبل الوقت . فحتى في صوره العائدة الى مرحلة فتوة مسرح الفن ، عندما لم يكن ستانسلافسكي يتجاوز الاربعين سنة ، يحملق فيك بعينيه النافذتين الممتلئتين حيوية ، رجل ذو رأس مجلل بالشيب وحاجبين أسودين بارزين .

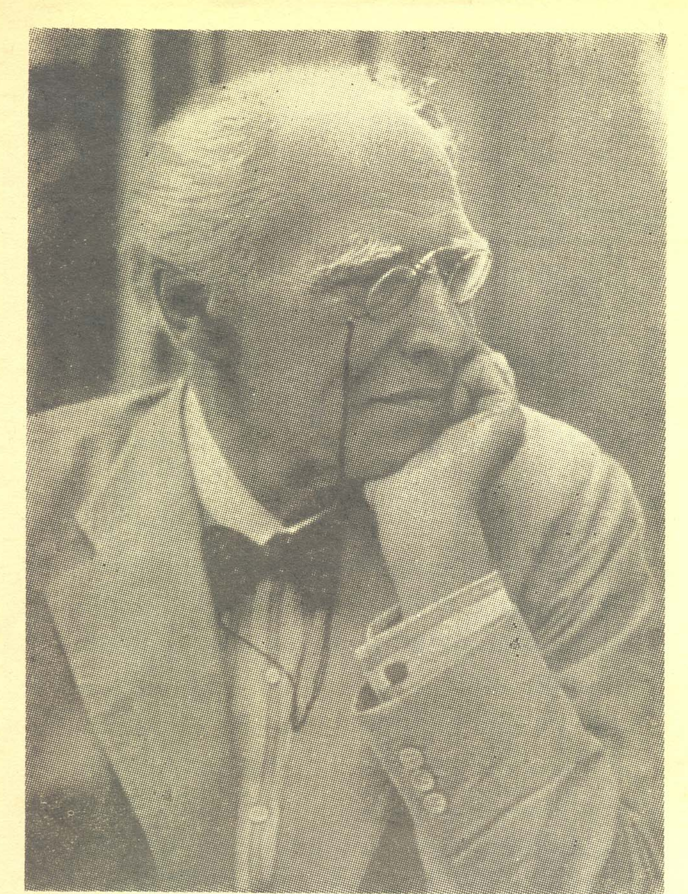
أذكره عندما كان في السن الخامسة والسبعين . كن أبرز ما فيه ، حتى في ذلك السن ، نظرته الفاحصة والفتية الى حد عجيب ، اشرهة دائما ، كما كان يبدو ، لانطباعات جديدة تغذي فكرة بحثا عن الجديد وتؤجج نار خياله الخلاق .

آخر مرة ظهر فيها ستانسلافسكي على المسرح هي في سنة ١٩٢٨ ، أثناء حفلة مخصصة للذكرى السنوية الثلاثين لمسرح الفن . وكان مرض القلب الذي يعانيه يمنعه من الصعود الى خشبة المسرح . ولكن بأية حماسة زائدة كان هذا المصلح الدءوب ، الساعي دائما وابدا وراء الطرائق الجديدة في الفن المسرحي ، يعكف على تنشئة فناني المسرح الشبان وعلى انجاز اعماله في الطريقة التربوية التي عادت عليه بشهرة عظيمة في العالم المسرحي بأسره .

كان ستانسلافسكي ممثلا بارعا ومخرجا عبقريا . ولكن موهبته في التربية لم تكن اقل سطوعا من مهارته في المسرح . ففي الخطاب الذي القاه غوركي لمناسبة الذكرى السنوية السبعين لمولد ستانسلافسكي ، اشاد الكاتب قبل كل شيء بهذا الفرع من نشاطه ، اذ قال : « ... ان بين نشاطاتكم عملا مخفيا في حرص في زوايا الكواليس ، اشعر تجاهه بالكثير من الاعجاب والتقدير ، هو المهارة الكبيرة والنعومة ورهافة الحس في فن اكتشاف المواهب ، والدقة الجديرة بالصايغ الجوهري في تنميتها والاستفادة منها ! » .

كان ستانسلافسكي يعني عناية كبيرة بتجارب وأبحاث تلاميذه ، فيشرح لهم اخطاءهم في صبر واناء ويفرح لما يحرزونه من نجاح . ولكنه كان دائما متشددا ومنطقيا في الامر الاساسي : وعي الاهداف التي يعمل لها المسرح ورسالته الاجتماعية السامية ووسائل التأثير في افئدة وعقول الجمهور وادراك الرسالة النبيلة والواجبات الملقاة على عاتق الممثل تجاه فنه .

ما هي الوصايا التي تركها ستانسلافسكي لشبيبة الثقافة الفنية ؟



اولى هذه الوصايا الشعور بالمسؤولية تجاه الفن والمهنة ، والادراك الواضح للصعوبات التي يجب تذليلها ، والعزم الراسخ على تكريس النفس ، بتجرد ونزاهة ، لخدمة المسرح . ففي ربيع سنة ١٩٠١ عندما كان ستانسلافسكي غارقا لاذنيه في اعماله الفنية ، وجد مع ذلك متسعا من الوقت ، في فترات الاستراحة ، للكتابة الى تلميذ يستيقظ في نفسه الاهتمام بمهنة التمثيل . وكانت رسالة ممتازة تحتوي على العناصر الرئيسية التي سينميها مربي المواهب ، مدة عشر سنين ، في شبيبة المسرح .

قال ستانسلافسكي : « ... ان المسرح هو اهم منبر للتعليم ، واهم ايضا من الكتب والصحافة من حيث التأثير . والمهمة التي احققها بقدر ما تسمح لي قواي ، هي ان ابين للجيل الصاعد ان الممثل هو حواري الجمال والحقيقة » . وللتمكن من تحقيق هذه الرسالة يجب ان يكون المرء قبل كل شيء متحليا بالموهبة . ولكن هذا لا يكفي . بل يجب ان يكون مستعدا « للسير في طريق شاق وصعب ، مليء بالاشواك والعليق ، محتقرا المجد ومحبا مهنته » . ولكن هذا العزم على تكريس النفس للمسرح لا يكفي ايضا لكي يصبح المرء ممثلا . فستانسلافسكي يضع شرطا له اهمية فائقة ، ه وان يكون الممثل ذا مستوى مرتفع في الثقافة العامة . ويتطلب من الفنان ان يعرف « كيف يكون في مصاف عباقرة الادب ويحلل المواضيع الفلسفية والاجتماعية التي تحتويها اجمل مؤلفات المسرح الدرامي » . ويعرب ستانسلافسكي عن امله في ان يوضع حد ل « الزعيق

والتكشير » الساذج وأن يأتي يوم يمنع فيه القانون كل شخص جاهل من التمثيل على المسرح .

ولقد جاء هذا اليوم . فأبواب مؤسسات التعليم العالي المسرحي مفتوحة امام الشبيبة السوفييتيه الموهوبة . وهناك اربعة معاهد للمسرح في موسكو وحدها . وتتكامل الفرق المسرحية الآن باناس مثقفين حاصلين على تعليم مهني .

ولكن يحدث احيانا ، مع ذلك ، ان بعض الناس من بين الشبيبة يعتبرون مهنة الممثل مهنة سهلة وفي متناول كل انسان ولا تحتوي الا على الهتافات والملذات ويمكن معرفة ذلك من كمية الرسائل المرسلة الى مسرح الفن من قبل تلاميذ المدارس الثانوية . فأصحاب هذه الرسائل يتصورون انه تكفي المرء الرغبة ليصبح ممثلا .

كان ستانسلافسكي يتطلب كثيرا من الممثلوبين ، مرات عديدة ، كيف يجب تصور المؤهلات الفنية . ففي مقالة « بداية موسم » (١٩٠٨) ، يصف حديثه مع فتيان راغبين في ان يصبحوا ممثلين . وكان كل شيء يبدو لهم سهلا وبسيطا . وكان يريد ستانسلافسكي ان يدركوا المادة الاساسية للمهنة وذكر الصفات الضرورية لكي يكون المرء ممثلا . فيجب على الممثل ان يتحلى بروح الملاحظة وان يكون قابلا للتأثر وان تكون عنده ذاكرة جيدة وحيوية وقوة خيال وان يعرف الدخول في اهاب الشخصية التي يمثلها وان يكون ذواقا وذكيا وعنده حس بالايقاع والوزن الداخليين والخارجيين ، وان يكون موسيقيا وصادقا وعفويا وحاذقا ، وان يعرف السيطرة على نفسه ، الخ ... ويجب ان تضاف الى ذلك صفات التعبير حتى يمكن لعمل الممثل الموهوب ان يتجسد على خشبة المسرح ، اي ، بتعبير آخر ، جمال الصوت وجمال الهيئة وحسن الشارة وتناسق الجسد ومرونته وقوة العينين التعبيرية ...

وقد انهارت قوى جميع الذين اتوا للتحدث مع ستانسلافسكي امام كمية المواهب التي يجب ان يتحلى بها الفنان بالضرورة . ونصحهم الاستاذ الحكيم قبل ذهابهم قائلا : « روحوا ادرسوا فلن تجدوا السعادة على خشبة المسرح » .

لم يكن ستانسلافسكي يريد تثبيط همم الشباب ، ولكنه كان فقط يتطلب ان يقفوا من الفن موقف الجد وان يكرس نفسه بحرارة واخلاص لخدمة المسرح ، وبواسطته لخدمة المجتمع والافكار الطليعية في الازمنة الراهنة . وكان يجهد دائما لان يجعل الفنان يجد مكانه الحقيقي في الجماعة . وكان ستانسلافسكي يستعمل كل مفاهيمه عن الاخلا ق لكي يغرس في الفنان الشاب الشعور بالزمالة والتفهم والطابع الجماعي للفن المسرحي . وهذا النداء الذي وجهه ستانسلافسكي للمثلين يدوي اليوم كقاعدة عليا للحياة الاجتماعية ، كصرخة من صرخات الضمير : « احبوا الفن في انفسكم ، لا انفسكم في الفن » .

كم في هذه الكلمات القليلة من اشياء كثيرة ! انها تحدد قوانين الاخلاق الفنية التي تجد اليوم صدى مدهشا في القوانين الاخلاقية لبناة الشيوعية . ان وصايا ستانسلافسكي الاخلاقية ، والقواعد التي وضعها للحياة الداخلية للجماعة المسرحية ، تحتوي على كثير من الوصايا الثمينة التي ستلهم اجيال الممثلين الشباب في بناء مسرح المستقبل ، مسرح المجتمع الشيوعي .

لقد وضع ستانسلافسكي علمه الاخلاقي آخذا بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية التي اوجدتها السلطة السوفييتية . وكان قد قام بجولة في العالم ورأى كثيرا من الممثلين البارزين ، وتلقى العديد من الاقتراحات لانشاء مسارح ومدارس مسرحية في مختلف البلدان . ولكن مؤسس مسرح الفن لم يكن يثق بامكانيات تطوير الفن على اساس تجاري . وكان يتحدث كثيرا عن انحطاط وازمة مسرح الغرب البرجوازي ويضع كل امله في مستقبل مسرحنا السوفييتي ، وكان موقنا بان مثله الاعلى واحلامه ستتجسد فيه .

وكان ستانسلافسكي شديد الثقة بالشبيبة وحسها التجديدي وقابلياتها لتنظيم قواها وتوجيهها دائما نحو هوف معين . وقد اقترح في عام ١٩٣٤ وضع ادارة فرع مسرح الفن تحت تصرف الفنانين الشباب حتى يديروه بحرية . كان يريد ان تقوم الشبيبة ، بوسائلها هي ، بدراساتها العملية للفن ا لمسرحي ، وان تتعلم تنظيم وادارة المسرح .

ولا يسعنا الا ان نأسف لكون اقتراحه لم يقبل في ذلك العهد . فلو كان قد قبل لكان مسرح الفن اليوم اغنى بملاكاته الادارية والفنية والتنظيمية .

والى ، جانب هذا ، لم يكن المربي الودود والحساس يريد اطلاقا ان ينقسم المسرح الى اجيال ولا ان يخضع للتناقضات بين فئات الممثلين المختلفين سنا . فوحدة الجماعة واندفاعها في مطامحها نحو هدف واحد هي القاعدة الاساسية للمسرح . « ... يجب ان تكون الحكمة القديمة قائدة القوى الفتية وان تكون القوى الفتية سند حكمة الشيوخ القديمة » ، ـ تلك هي وصية من وصايا ستانسلافسكي .

وكان ستانسلافسكي يكره اشد ما يكره الاخلاد للسكينة والركود والشعور بالراحة الكلية . ففي عهد الازدهار العارم لمسرح الفن ، عندما كان ستانسلافسكي في السن الاربعين ، كتب يقول ان خير فترة للفن هي عندما يدافع فيها المرء عن مواقفه ويناضل للمحافظة عليها ، هي وقت المناقشات والمجادلات . واسوأ فترة يمر بها الفن هي عندما يهدأ كل شيء ، عندما يتضح كل شيء ، عندما لا تعود ثمة ضرورة للنضالات والمناقشات ، عندما لا تكون هناك هزائم ، وبالتالي لا تكون هناك ، انتصارات . ان الفن والفنانين الذين لا يتقدمون ، يتقهقرون معترفين بانهم في وضع سيء .

العالم المسحور

اتيح لنا اخيرا قراءة الاستاذ محمد حيدر في باكورة انتاجه القصصي « العالم المسحور » وان كان قد اتيح لنا الاطلاع على هذا الانتاج بشكل متفرق ، وشحيح ، ومتباعد الفترات ، على صفحات المجلات والجرائد الادبية خلال الاعوام السابقة . فقد كانت زحمة العمل ورتابته، وقسوة الحياة وخشونتها ، من العوامل التي ابعدته عن ميدان الابداع ، والعمل الادبي ، قيدت طاقاته ، وضاعت – وهو الغني بالتجارب ، المتخم بالافكار – عبر آلاف الرؤوس المتثائبة المسمرة فوق المقاعد المدرسية ، وهو يحشوها ما بصقه كانت وما خلفه ستيوارت ميل في الاخلاق والفلسفة . فقد كان عليه أن يكرر عملية البصق هذه عدة مرات يوميا كواجب تفانى في ادائه ، وكاتجاه فرض عليه وما اراده « بموجب الرخصة التي اعطوها لنا في الجامعة بعد خمس سنوات من الجهاد » (ص ٣٥) .

بعد اجتياز جدار الاهداء الذي قدم للمدينة الصغيرة التي احتضنت الكاتب ما ينوف عن خمس سنوات سعيدة . وقدمت له المادة الخام لبعض اعماله الادبية – ولا شك – التي موه بعضها .... واجرى للبعض الآخر عملية مزج أصباغ حتى تضيع معالمها ولا سيما أن حيدر في عمله الفني يلتصق بالواقع ، ويجهد في اجتثاث التجربة من أصولها ، ولديه رصيد واسع منها ، ونشرها بكل معطياتها وايحاءاتها يدعمه في ذلك موهبة فذة – وثقافة واسعة . اقول بعد اجتياز الاهداء تطالعنا قصص الاستاذ حيدر التسع وهي : المتفرج ، العالم المسحور ، لقد تأخرت ، الانسان والعالم ، شكرا ، الصغير الممزق ، الجلاد ، ع تابع لس ، على المسرح .

القصص تجري في عالمين – وقد مر بهما الاستاذ حيدر بالتتابع – : فترة الدراسة الجامعية وما يرافقها من « بؤس ، وتشرد ، ومرارة ، وألم . وكانوا خلال ذلك يحشون دماغي بالعلم ، ويكدسون فيه الكتب مع انني قد بشمت » . وفترة تحديد الاتجاه ، وممارسة المهنة ، ومواجهة الحياة « وكوفئت على اجتهادي الطويل فعينوني مدرسا .. وتلك نهاية المطاف . وخاتمة العمر » (ص ٤١) . وكم حمل الاستاذ حيدر تعابيره ومعانيه طابع السخرية ، والهزء ، والتهكم من كلا العالمين . فهو مغرق في التذمر من مهنة التدريس « كتب واوراق مبعثرة ، والبرامج مصلوبة امام عيني ، وغدا سأبصق ما قرأته ، ويسألني طالب في آخر الصف . ويكثر من التساآل ، وأتمنى لو أمسك برأسه وأخبطه طويلا على الحائط لاستخرج ما فيه واطعمه للكلاب ، هل كان جدي عبدا لجده ، وهل كان ابي عبدا لابيه ومن قال له انني في خدمته » » (ص ٣٤) . وهو ساخر ساخط « بلغت آخر متاهة في سراديب العلم ، وحسب تعابيرك البلهاء يسمونها جامعة ملجأ الكسالى والمتبطلين ثم خرجت منها من تكية الدراويش ويمناي تلوح في الهواء ويسراي تحمل « الفرمان » شهادتي الجامعية ، اغرب تصريح الى التسول والخبز في تاريخ عالمنا الطويل ، (ص ٥٧) وهو يبدع في مزج السخرية بالسخط « كالبغل يشتغل طوال النهار حتى اذا كبر البغل وشاخ احضروا بغلا جديدا وضربوا القديم بالرصاص . نحن كالبغال سوف يمتصون قوانا فاذا كبرنا احضروا مدرسا جديدا وهزوا رؤوسهم في وجوهنا آسفين قائلين في شفقة انني كبرت ، يحيلونني الى التقاعد ليضربوني بعد ذلك بالرصاص » (ص ٤١) .

فقد اجاد الاستاذ حيدر في تصوير العالمين عالم الدراسة ، وعالم التدريس كشخص عاش الفترتين وعانى تجاربهما ، فتذوق الخيبة ، وواجه الرسوب ، وارتبك لقلة العلف ، وحقد على « تمثال الغطرسة والجليد » ، وارهقته الدراسة والمراجعة ، واختبر بيت الجارة العزيزة ووو ....

والخمر ، والتشرد ، والظلمة ، والفراغ، والصعلكة ووو ... لها حديث يطول في قصص الاستاذ حيدر فهي النقاط تتردد في معظم قصصه ، فجميع ابطاله تأخذ الخمرة بتلابيبهم ، وتتشبث الكؤوس بشفاههم – كحل نهائي وحاسم للهزيمة المنكرة من الواقع – ويتآكلون في أتون الفراغ والصمت . فالسكر في قصة العالم المسحور يثير شفقة الجارة العزيزة التي تعتبر اول مراتب الحب وهو من وجهة نظر البطل وسيلة للهروب من المأساة التي لا تدري كنهها والتي ترجع الى اختلاطها بطبيعته ولم يحددها الكاتب . والبطل في قصة لقد تأخرت بعد أن يتدفق الراتب يعب من الحب والنساء والخمر .

ولنشاهد ابداع حيدر : في دقة التصوير .. وبساطة التعبير – والقوة في الايحاء عندما يتعرض لحالة شارب الخمرة لقد كتب الكثير من الكتاب في هذا الموضوع – اما اسلوب المعالجة الذي لجأ اليه حيدر فهو فتح فمه « وشرب كأسا رابعة لقد شرب زجاجتين ، لعن الله هذه البيرة .. لقد امتلأ بطنه ، دون ان يصل شيء منها الى رأسه يجب ان يبدلها بالخمر ..... عرق حنا !

وشرب جرعة ٠ ثم عبس وبصق ٠٠ انه يحتاج لشيء يأكله ٠ حبة بزر على الاقل ٠ انه لا يستطيع ان يشرب الكأس دفعة واحدة ٠٠ وانتظر قليلا ثم شرب البقية ٠ كأس حنا وشرب ايضا لقد كان طعم الخمر لاذعا احرق لسانه وحلقه ولكن ماذا يفعل ؟ عليه أن يشرب ٠٠ وشرب الكأس الثالثة والرابعة ٠ انه يشعر الآن بارتياح اكثر ٠ بارتياح خفي خفيف يسري فيجسده ورأسه ٠ لقد سقط الحاجز الذي كان يفصل بطنه عن رأسه ، وبخار الخمر يرتفع رويدا الى الرأس ، ويستقر فيه ضمن العظام المقفلة ٠ انه مسرور لان رأسه غير مفتوح من الاعلى كمدخنة القطار ، والا لكان البخار قد خرج من رأسه دون ان يستقر فيه كما يخرج الدخان من القطار ٠٠٠٠٠٠٠٠ كانت الارض تدور في عينيه ، لقد كان في المدرسة الابتدائية لا يصدق ان الارض تدور ٠٠ وكان الاستاذ يضربه دائما وهو يصر على القول « كيف تدور ؟ » « لا اراها استاذ » يا له من غبي انه يشعر الآن انها تدور ، دون براهين علمية تقنعه ٠ ليته عرف ذلك ايام المدرسة اذن لشرب عدة اقداح وانتهى الامر ٠ لا بد أن « غاليلي » كان سكران والا فكيف أمكنه ان يعرف انها تدور ٠ رحمة الله عليه لقد كان طيبا هذا « الغاليلي » لقد مات سكران ، بدليل انه ظل يقول : تدور ٠٠ تدور ! نعم انها تدور » (ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) ٠

ولنتساءل ما هي هوية الانسان الذي عالجه حيدر في قصصه ؟٠٠ هل هو الانسان السوي ٠٠ الباحث عن التكامل ٠٠ الباني للمثل ٠٠ المتفجر وعيا ؟٠٠ لا !!٠٠ انه الانسان المستلسم للتشرد ، والظلمة ، والسكر ٠٠ يغرز الحقد الذي تغور في عمقه منذ الصغر ، ويتآكل في ظلمه الوف العقد التي تنهشه ، فهو دائما يشعر بالسأم ، والحقد ، والانانية ، والكآبة ، والتبرم ، والضيق ، والقلق ، والكراهية ٠٠٠٠ ونتيجة لذلك فهو يلج باب التشرد ، والسكر ، والصمت ، والصعلكة ٠٠ كعلاج لينسى الواقع المر ، ويقذف عن كتفيه وطأة المأساة وهو قرار موقت وآني وليس حلا جذريا لمواجهة مشاكله ومأساته مما يدفعنا لوصم ابطال قصصه بأن الهزيمة طابعهم او ـ على الاقل ـ تغلغلهم السلبية بغلاف رطب تجمد حركاتهم ، وتترك لهم العيون الحائرة فقط تتحرك دون بقية اجهزة الجسم ، فقلقهم لا يتطرق اليه الابداع ٠٠ وبعيد عن أن يكون خلاقا ، وهذه السلبية والانهزامية التي طبعت ابطال القصص جميعا ـ ما عدا الجلاد ـ سيطرت على سلوكهم ، واستعبدت تصرفاتهم ٠ فبطل قصة ـ المتفرج ـ « وطواط يعيش في قوقعة مظلمة مليئة بالشوك والدموع ، كان السأم يقتله ، والفراغ يحيط به كخصم هائل » (ص ٩ ـ ١٤) وبطل قصة ـ العالم المسحور ـ « طالبا بليدا لا يحسن سوى الفراغ والسكر ٠ والفراغ في اعماقه كالرصاص ٠ يفعل كل ما يجعله في نظر الاخرين موضع الكراهية والحقد والدهشة ٠٠٠ يريد حادثا فريدا يقوض اعماقه ويتركه كالرماد ، والقلق ينمو في صدره ويأكله الليل والنهار ٠٠٠٠ واجتويتها وشعرت بالسأم (ويدفعني الحقد والانانية) فاضربها كل يوم » ٠ وبطل قصة ـ لقد تأخرت ـ « عندما يتأخر العلف عليه يعيش كالدراويش، يقتات النفايات ٠ وعندما رأى جيوبه تمتلئ بالمال بعثره ذات اليمين وذات الشمال فاشترى الحب والخبز والنساء والخمر والدخان وجناحين طويلين ٠ » وبطل قصة ـ الانسان والعالم ـ يعب من الخمر وحيدا في غرفته ويحس باختناق وعندما غنت له جارته كان صوتها حزينا كأنات الجريح يشعره بكآبة ابدية وبالحنين الى الموت ٠ يخيفه الزمان او يرتجف ازاءه برعب مجنون ايحس وحشة القبر ، وثقل الاحجار ، والتراب الذي يأكل عينيه ٠

وبطل قصة ـ شكرا ـ « مدرس يحمل الفرمان ـ الشهادة الجامعية » اغرب تصريح الى الخبز والتسول سليل الوحل ونتاج اسرة من الجنون والحقد ـ احب تلميذته ـ تمثال الغطرسة والجليد ـ وكان الحب يقطر من احداقها الواسعة فتشربه اعماقه كالرمال ، تلاعب بابرة الميزان ووضعها في قائمة الراسبات ليجعلها تجثو على قدميه ، ولكنها لم تفعل انتحرت قتلها دون ان يعلم » ٠

هذه النتف الصغيرة من القصص تعين هوية الانسان الذي عولج بقلم حيدر

هل هو الانسان السوي هذا الذي يتصرف ليكون موضع حقد وكراهية ؟٠٠٠٠ وهل هو الذي يريد حادثا فريدا يقوض اعماقه ويتركه بالرماد ٠٠٠٠ ام هو الطالب الذي لا يحسن سوى السكر والفراغ ؟٠٠٠٠ أم هو الذي يخيفه الزمان ، ويحس وحشة القبر ، والتراب الذي يأكل عينه ؟٠٠٠٠٠٠٠٠ انه الانسان المنحرف الشاذ الذي حظي بالافضلية لدى الكاتب ٠٠ الانسان الذي حرق جوفه الخمر ٠٠ وفقأ عينه التشرد ٠٠ واتعبته الصعلكة ، والكراهية ٠٠٠٠ ولكن ما ذنب حيدر وهي نماذج حية تشاركنا العيش ٠٠ وحيدر « انسان غريب عن العالم ، غريب عن كل ما فيه ، أتفرج من بعيد عن الحياة ، واسلط على الناس اضواء مختلفة تضخم حماقاتهم دون ان اشارك الآخرين في شيء » ٠

أما الانسان المتكامل ٠٠ المتفجر وعيا فهو يعيش في قصة ـ الجلاد ـ بطلها مثقف ألقى القبض عليه وهو يلصق المناشير وسيق الى زنزانات التعذيب ، وقضى نحبه بين السياط ، وآلات الكهرباء ، وفم الكماشة ٠٠ وبراعة الكاتب تبدو في ابراز اللوحة النفسية بكافة

الوانها وحتى الباهته ، وتلك المحاكمة الذاتية التـي تجري بين البطل ونفسـه ، وتردده بين الانهيـار والصمود ٠٠ ففي قصة الجلاد ٠٠ والقصص الباقيـة استقطاب فذ لاحساسات الابطال الرئيسية والجانبية٠٠ ورصد بارع لتواترهم الانفعالي « ماذا عليك احـرار العالم الذين ماتوا ؟ شهداء الحرية ٠٠ ماذا عليك هؤلاء الآن ؟ من أجل من سأضحي ؟ الشعب ، المباديء ، الجماهير ؟؟ لقد وقعت نيابـة عن الجميع (وملأه الندم والحقد) ٠

لن يجدي هذا الكفاح ، آلاف من الشهداء ماتوا عبر التاريخ ٠ صلبوا احرقوا ٠٠ سلخت جلودهم او ماتوا تحت السياط ٠ رغم الضحايا فالانسانية لـم تتقدم خطوة الى الامام ٠ بل لا يزال وجهنا الاخلاقي في بشاعة الغرور ٠٠٠٠ وقال لنفسه باصرار : لن اغير شيئا من الحركة ، ولن يتبدل مجرى التاريخ ٠ ايدرك التاريخ انني صخبت ؟ لا جدوى من الكفاح انني اكافح بمفردي الآن ٠ اجابه صوت داخلي كان ينبثق مـن عمقه ، صوت لم يعرفـه من قبل ، كان يتكلم بلهجة قاطعة اوبايمان : يجب ان تستمر ، فالانسانيـة لا تعطي نتائجها دفعة واحدة ٠ انها تراكمات جزئيـة يوما بعد يوم وعبر مئات السنين ٠ سيأتي يوم لـن يعذب فيه احد ، ولن تهدر فيه حرية الانسان ٠ ستفتح الابواب ويتنفس الناس بحرية آنذاك ٠ » (ص٧٧-٧٨)٠

والملاحظ اعتمـاد الكاتب على اسلوب السـرد الداخلي (الحوار الذاتي) لحالة شعورية يعانيها البطل خلال فترة معينة من الزمن ٠٠ ان قصص حيدر دفقات انفعال في اطار قاتم تسيل من شق قلمه ٠٠ تعبيراتـه ذات ايحاءات عميقة والفاظه لاهثة لها ابعاد ومسافات٠٠ ورغم ذلك فان الحرارة في التعبير لم تلهه عن الصلات بين الصور ، وكان التعبير خادما للسرد الداخلي دون ان يكون غاية بحد ذاته ٠ واذا اهتم به الكاتب احيانا فلا يعتبر هروبا نحو الشاعرية والتنميق وانـما هو ايجاد الانسجام بين الفكرة والاداء ٠ يبدأ الـكاتب قصصه بشكل مباغت مفاجيء ليستحضر ذاكرةالقاريء ويفرض وجود البطل عليها ٠ ففي مطلع قصة المتفرج يلقى الحكام الحتمية الحاسمة « عندما ولجت ذلـك المقهى كنت اعلم انها محاولة فاشلة ، وانني لاستطيع مهما بذلت من جهد ، ان اجتاز نقطة التحول ، او ازيل خط الفوارق الابديه ٠ » (ص ٧) ٠

وكذلك في مطلعه المثير لقصـة - لقد تأخرت - « لا مألك ساعة لكي احسب الوقت ، والساعة ٠٠ من الاحلام القديمة التي شاخت وادركها العفن ، وهـي لا تزال بصحبتي من الطفولة ٠ » (ص ٣٣ واي اثارة اشد من هذا المطلع لقصة - شكرا - سيدي الطبيب : شاء علمك الغزير ٠ يا أذكى غبي على الارض ٠٠ أن أحل ضيفا على مشفى المجانين ، لـمدة يقررها ذكاؤك النادر ، وتبحرك العظيم في اسرار النفس » ٠(ص ٥١)

ولنستعرض بعض الصور الزاخرة بالحركة والعمق حينا ٠٠ الساخرة احيانا **اخرى :**

فهو يقول عن الطلاب الذين سبقوه الى استئجار غرفة « الجارة العزيزة » بنفس اثقلها الغثيان والرعب « ولكنني كنت دوما اراهم بجانبي ، اولئك الذين جاءوك قبلي ، مئات الجماجم تزحم رأسي على الوسادة ،وتدب فوقه كالعقـارب ٠ والاغطيـة كنت احسها مليئـة بالشوك ، وكانت تخزني كالابر ٠ » (ص ٢٢) ويتهكم من دكتور علم النفس « اين يا ترى هذه النفس التي اصابها العطب والفساد ، وهل جنابك الموقر (ورشة تصليح) ٠ » (ص ٥٢) ٠ ويبدع في ابداء شعوره « احببتها سنوات بكل ما املك من الاخلاص والـدم » احببتها منذ البداية وكان الحب يقطر من احداقهـا الواسعة فتشعر به اعماقي كالرمال » (ص ٥٩) ٠ وان كان حيدر لم يتق العثار فقد وردت في كتابه بعض الصور الباهتة المضوغة « كانت كالوردة بين الاشواك، وكالتفاح بين شجر البرية ، كانت لقلبـي ابرد مـن الندى واحلى من الشهد » ٠ (ص ١٤)

وقد اعجبني في الاستاذ حيدر تصيده اللقطـات الجانبية ورصدها دون ان يلهيه المجرى الرئيسـي للقصة عنها ٠ ففي الجامعة لفت نظره « ذلك الطالب الرفيع ، لـماذا يا ترى يجوس كل يوم في حديقـة الجامعة ، ويصفر ٠٠ وتتسارع حركة السلسلة التي يلفها حول اصبعه ، كلما مرت فتاة امامه ؟ » (ص١٣)٠ ويستغرب بعجب منهم « من تنكيس العلم في دمشـق عندما مات رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ٠ مـات بعيدا هناك في براغ ٠ » (ص ١٣) ٠ وعندما جـاء بيت « الجارة العزيزة » مستأجرا استوعب المنظـر بكافة جزئياته وبآنيـة مذهلة « ويداي مثقلتـان بالحقيبة ٠٠ بحقيبة تكدس فيها كل رصيدي مـن البؤس والتشرد ٠٠ وكنتم في غرفتي ذلك الوقت ، البنت على الاريكة ، وآخـران صغيران كالقطط ٠٠٠ بينما تنسجين خيوطا من الصوف ٠ » (ص ١٩) ٠ وعندما رسب في صفه ، الجميع تساءل عن رسوبـه الاساتذة والطلبة وبعض الرفاق والآذن ٠٠ حتـى حتى الآذن تساءل عن رسوبه ، انه رصد بارع واهتمام **لجزئيات الحالة** ✲

اما الافكار الجديدة المبتكرة فالكتاب حافل بها وهي تأتي احيانا في سياق المحاكمة الذاتية (بين البطل ونفسه) او جوابا على سؤال ٠٠ او في معرض ابداء العجب ٠ والكاتب يلح في عرض هذه الافكار مماشيا اسبلها ، ومنعطفاتها المظلمة الموحشة دون ان يسقط او يتعثر يساعده في ذلك – كما ذكرت – موهبة فذة ، وثقافة نفسية ، واطلاع واسع ٠ بطل قصة (لقد تأخرت) يتساءل عندما امتلأت جيوبه بالمال وتحكم بمصيره طويلا قرار يؤشره ديوان المحاسبات وينشرونه في الجريدة الرسمية « ان نحلم ونحن صغار، وان يتحقق الحلم عندما نكبر ٠٠ اي جدوى من كل ذلك ؟٠٠ لا شيء !! فلو تحقق كل ما حلمنا به ونشتهيه ، لظلت في اعماقنا ثغرة تمتنع عن الامتلاء ، فنحن لا نعلم ما نريد وتلك هي المأساة ٠ » (ص ٤٣)٠ وبطل (قصة الانسان والعالم) في نطاق مناقشة (للجارة العزيزة) يرد عليها « الانسان الحقيقي مات٠ اننا مقيدون ولا يوجد انسان يعيش كما يريد ٠٠٠ »

– الهذا تسكر لتنسى ؟

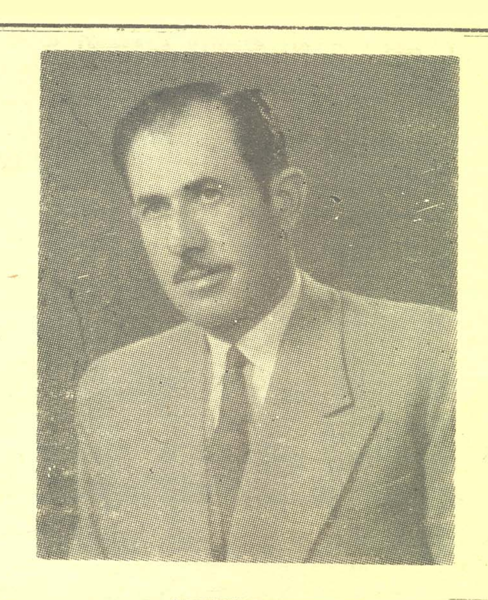
قلت : ما الفائدة من النسيان ؟ اننا نعيش على الارض ، ولكن لا معنى فيها لشيء ٠ الحياة مجموعة من الاخطاء والحماقات والاحزان ٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ لقد سئمتك يا ماري ، ولا يمكن ان نعيش معا بعد اليوم فالانسان الحقيقي مات ، ولا اريد ان اموت انا الآن ٠ سوف ينهكني التشرد ، ولن أجد شيئا آكله ، او مكانا انام فيه ، سأنام في الطريق ، وافتقد الدخان والخمر ، وسيحاربني بنو العالم ، لكنني لن اكترث يا ماري ، لانني سأعيش انسانا حقيقيا في هذا العالم ، رغم ان الانسان الحقيقي قد مات ٠ » (ص ٤٧ – ٥٠)

واخيرا مخطىء كل من يعتبر ان كتاب « العالم المسحور » مجموعة قصص متفرقة ، انه مجموعة فصول لقصة واحدة طويلة ، وما عناوين القصص الا عناوين للفصول ، انه وثيقة هامة تحكي قصة مأساة – مختزنة في القلب – طحنت صاحبها ولم تخلفه رمادا ٠٠ ولا زال أهل المدينة الصغيرة التي رعت الكاتب خمس سنوات تأكل وجوههم الحيرة ويحرقهم الشوق لهتك السحب القاتمة التي غلفت الانسان اللغز الذي يتفجر اخلاصا ٠٠ وغموضا ٠

فصول المأساة لم تنته ٠٠ ونحن في انتظار الفصول الاخرى في « خلايا السرطان » ٠

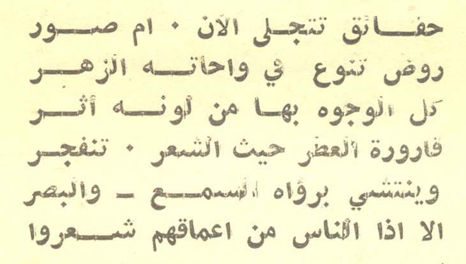
٢٩ / ١٢ / ٩٦٢

علي محمد زعبي
درعا



بين الشعر القديم و الحديث

شعر : محمد أحمد حيدر



امسية من جميل الشعر ام قدر ... حقائق تتجلى الآن · ام صور
جماعة من رؤى الفردوس أم بشر ... روض تنوع في واحاته الزهر
شمس تطل من الكوات أم قمر ... كل الوجوه بها من لونه أثر
زينتموا الحفل في تشريفكم فدروا ... قارورة العطر حيث الشعر · تنفجر
تعب من وقعه الآذان ما قدرت ... وينتشي برواه السمع – والبصر
الشعر عطر · ولكن ليس ينتشر ... الا اذا الناس من اعماقهم شعروا

* * * *

امسية الشعر · لا ناي ولا وتر ... امسية الشعر · لا كأس ولا سكر
امسية الشعر · أين الشعر تطربني ... اوزانه · وتناجيني به الفكر
امسية الشعر · ان الشعر جيده ... يموت حيث يعيش · البؤس والضجر
امسية الشعر · اين الشعر ما برحت ... نفسي تطالبني فيه · وتنتهر
امسية الشعر · نفس لا تطاوعني ... عقلي يثوب لها حينا · ويأتمر

* * * *

امسية الشعر · قالت لا تكن قلقا ... عما قريب · قناع الشعر ينحسر
لا بد من شاعر · هذا المساء على ... قيثاره يتلاقى · البدو · والحضر
لا بد من شاعر · يهديك ملحمة ... ما صاغها (المتنبي) لا ولا (عمر)
عصماء · تملأ أجواء الدجى ألقا ... تفني الظلام · ولا تبقي · ولا تذر
جماعة الشعر · في هذا المساء لهم ... تعنو القوافي · ويعنو النثر · ان نثروا
هم البدور · على اظلامنا سطعوا ... اذا انتهى قمر منهم · بدا قمر

* * * *

ان خانني ايدي · لي عصبة كرموا ... قولا · وان قال فيهم كاشح أشر
قوم اذا قلت فيهم كنت معتصما ... بقولهم · وبقولي حين انتصر
قوم على سدة الشعر التقوا · وعلى ... ساحاته · وبواحات العلى سهروا
يفنى الزمان · ولا تفنى مآثرهم ... وكلما عمرت · تزهو · وتزدهر

* * * *

امسية الشعر · طاب الشعر والسمر ... هذا الذي منذ حين كنت انتظر
ما أروع الشعر موزونا به صور ... شتى · من القبس القدسي · تعتصر
ما أروع الشعر · فنا خالدا سكرت ... به النفوس · وجن الناي · والوتر
الشعر روض به الازهار تزدهر ... جواهر تتلألأ · وهجها نفر

الشعر فن قديم خالد عنيت … به الشعوب وأهدته الورى (مصر)
تبقى القوافي • بقاء الدهر لا قدم … يأتي عليها • ولا قحط • ولا عمر

* * * *

الاقدمون من الاجداد • شعرهم … يتلى • كان معاني شعرهم سور
الشعر فنهم منذ القديم • ومن … ابياتهم تؤخذ الامثال • والعبر
الشعر عندهم وزن وقافية … لو مر شعر لنا • في ساحهم سخروا
لو مر في عهد حجر • من قصائدنا … شيء • لابكى امرءالقيس العلى • حجر
الشعر ان لم يكن وزنا وقافية … الفاظه كلها في النثر تنحصر
والشعر ما فقدت منه نضارته … الا اذا خليت من متنه الصور
مواخر الشعر • نشوى والبحور لها … ملاعب • بلغ الشطآن • من فخروا
اجدادنا • لو دروا ما حل بعدهم … بالشعر • ما قبلوا عذرا • ولا غفروا
بكى (عكاظ) رفيق الشعر • وانتحبت … خنساؤه • وبكى اوزانه (قطر)
كأنما الشعر • قد أودى به الكبر … أو هد من هرم • او مسه عور

* * * *

يا حسرة الشعر • ما أدهى بليته … حتى متى • في عصور النور يحتقر
يا حسرة الشعر • أمسى بعد منعته … الى السليب من الاوزان • يفتقر
الشعر اضحى .مريضا داؤه خطر … يعيي الطبيب اذا ما راح يحتضر
داء عضال فيا لله موقفهم … من القريض • ويا سقيا دما هدروا
فرض على ادباء العصر نصرته … فتح يسجله التاريخ ان نصروا
فرض على ادباء العصر ان يضعوا … حدا • لقوم على احفادنا مكروا
ان جاهدوا حلموا • او ناصروا كرموا … أو وجهوا عظموا • أو ناضلوا فخروا
لا يستطيع قدير رد قولهم … فالصدق ما نطقوا • والحق ما أمروا
نذر عليهم لوجه الشعر معركة … لله ما فعلوا • لله ما نذروا
هيجاء فرسانها الاقلام ما سحبت … الا تطاير من افواهها الشرر
يعطي اليراع غداة الروع فائدة … جلى • يقصر عنها الصارم الذكر
نصر مبين أرى أني مشو وبهم … تزهو الاماني • ويجنى العطر والثمر
ان نازلوا غلبوا • أو هاجموا دحروا … أو حالفوا صدقوا • او خاصموا قدروا

* * * *

الصمت ضج • وضج الشعر من نفر … اذا تحدثت عن شعر الألى نفروا
اذا قرأت من الشعر القديم لهم … ثاروا • وصوتك في آذانهم ابر
جاروا على النثر واستلوا نضارته … يكاد لولا الغد المأمول ينتحر
ان كان ما زعموا شعرا فهل تركوا … للنثر من قيمة في القول تعتبر
ما للتطور يطوى من حضارتنا … معالما عشقت الوانها العصر
جار الشباب على ميراثنا واذا … صارحت تسألهم ميراثهم نكروا
نزر يسير من الجيل الجديد رووا … شعرا (حديثا) فيا بؤسا لما نشروا
لواؤهم لم يزل في الترب منغمسا … وشعرهم لم يزل ضحلا • وان كثروا
فلا يغرهم وهج السراب وهل … يعطي السراب لهم صبحا وان نهروا
لا تقبل العرب ايمانا بما وضعوا … بعد القوم بآداب لهم كفروا
الوزن للشعر الون مفرد واذا … ما افقد الوزن • ضلت سلكها الدرر

* * * *

منازل العلم لا زالت مشرعة … ابوابها • وبنشر العلم تفتخر
مناهل العلم ما زالت مناهلها … تروى العطاشى • كمايروى الثرى المطر
لا زال ينبوعها بالناس مزدحما … وافقها بلواء العلم يأتزر

محمد احمد حيدر

بين عبد الخالق فريد .. و البوهيمية

بقلم : خالد الحلي

عندما أصدر الشاعر ديوانه الاول (نداء الاعماق)[1] عام ١٩٥٥ كتب عنه فقيد الادب المرحوم مارون عبود مقالا جاء فيه : (ولم يخب ظني حين تصفحت الديوان ، فقد رأيت بعض قصائده متوجة بآيات سليمانية ، فقلت : لقد جمع عبد الخالق فريد نزوات داود وابنه سليمان ، ولكنه بكر في التشاؤم) .[2]

ويستمر الفقيد المرحوم في حديثه الى أن يقول : (فلو كنت ممن تبهرهم الكلمات الجديدة لقلت ان صاحبنا عبد الخالق فريد شاعر وجودي بوهيمي .. وها هو تائه في ليالي بغداد) .

انني أجد في كلام الفقيد مارون عبود ـ وهو الناقد الحق ـ مجالا للمناقشة لا لان عالم الادب قد خلا من مارون بعد أن طواه الردى فهناك من مريديه ما نعجز عن عدهم .

ان عبد الخالق فريد ـ برأيي ـ شاعر بوهيمي ورغم انني ممن لا تبهرهم الكلمات الجديدة ـ كما أتصور ـ) .. اذ انني افهم البوهيمية بمفهومها البسيط وهو عدم الاعتراف بالقيم والتقاليد والخروج عليها .. ، والبوهيمية بعد هذا من ابشع انواع البطر الفكري والتفسخ الخلقي ... ان عبد الخالق فريد يحلم أن يعيش كما عاش فرلين واوسكار وايلد .

فاذا ما قرأنا شعره نجد تقليدا بشعا لشعرهم وحياتهم .. اذا اردنا ان نثبت بوهيميته سنجد ما يبرهن على ذلك في الديوان : ـ

تعالي ولم تحفلي بالنداء
ومات النداء بأعماقه
فعدت وحيدا لدنيا الاسى
أسامر أحلامي الذاوية

سأقضي الحياة أسب القضاء
واكفر بالقيم الباقية

فماذا نستطيع ان نستشف من هذه الابيات غير البوهيمية ..؟ واذا قال لنا قائل بأن هذه الابيات قد تدل دلالة خاصة وهي لا تكفي على اتهام الشاعر بالبوهيمية فلنقرأ الابيات التالية من قصيدته (ليلة نواسية ص ١٦) : ـ

ثم ناولته المدامة صرفا
لم تدنس يا صاح قط بماء
فتراخى ـ فما يعي أي شيء
من ضروب المجون ـ وهو رجائي
ومضت ليلة وجاء صباح
وعلى ثغره الانيق انشراح
هكذا .. هكذا الحياة مجون
لاشقاء أو آهة ونواح

ان الشاعر في هذه الابيات يتغزل بالمذكر وهذا العمل ما هو الا أحد أنواع الشذوذ ... ولا أعلم كيف يكون الشاعر الشاذ كما يعبر عن نفسه : ـ

نحن نغني لكي نضيء وجودا
لأناس هم من صديد وجيفة

فالى جانب قبح مرمى البيت السابق نلمح قبح الكلمات المستعملة مثل (صديد وجيفة) . ان البوهيمية لا تعبر عن واقعنا وان عبد الخالق فريد ممن تغويهم المظاهر الزائفة وممن يؤمنون بقاعدة (خالف تعرف) فهو مثلا يكتب الظاء بالضاد أو بالعكس الا انه في بعض الاحيان ينسى كونه يبغي المخالفة فيعود ليكتبها صحيحة .. (ومن الامثلة على ذلك كلمة دلظى) يكتبها بالضاد في الصفحات ٤٩ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٢ بينما يكتبها

بصورة صحيحة في صفحة ٨٤ ويتكرر هذا بالنسبة لكلمة ظنون وغيرها من الكلمات المشابهة .

كما ان الشاعر في بعض الاحيان ينسى بوهيميته المزيفة .. ففي قصيدة (بعد الرحيل ص ٢٤) نقرأ المقطع التالي الذي يخاطب فيه نفسه : ـ

ان الغرام لديهم جسد يدنسه الفجور
فارحل ودعها وحدها رهن اللذائذوالشرور
ستهدها حمر الليالي ثم تأويها القبور
وتظل أنت محلقا في قمة الحب الطهور

أين الحب الطهور والقمة التي يظل محلقا فيها من قصائده الماجنة ؟ أولم يبرهن هذا على ما قلناه سابقا ؟ ان الشاعر الى جانب هذا كله يعيش في أجواء تشاؤمية انهزامية .. ولعله يعتقد ان المجون مدعاة للتنفيس عن القلب المعنى : ـ

هكذا .. هكذا الحياة مجون
لاشقاء أو آهة ونواح

ولما كان الشاعر يريد ان يقطع الايام صبا ماجنا يلقي شباكه على طريق الجمال كما يعبر عن ذلك في قصيدة (خواطر ص ٣٣) اذ يقول : ـ

أقطع الايام صبا ماجنا
وأصيد الحسن من كل طريق

فالمفروض به أن لا يتشاءم لان المجون بنظره يقترن بزوال الشقاء والآهات والنواح كما عبر سابقا .. لكن هذا كله يشكل تناقضا لا مبرر له ففي قصيدة (مع الذكريات ص ٣٢) نجده يعبر عن اشد حالات التشاؤم اذ يقول : ـ

ألا أيها الموت مل أنني
سأمت حياة الاسى والشقاء

والحقيقة ان تشاؤم الشاعر من نوع غريب فهو ينسى كل مباهج الحياة ومفاتنها واعراسها الحالمة ويستهويه منها ـ الغلام ـ الذي يخاطبه : ـ

تقول أتهواني وماذا تحب بي ؟!
وفي طرفك الوسنان سحر مخدر
وفي خدك الوردي للقلب سلوة
وفي ثغرك النشوان يا حلو كوثر
عذرتك ! اذ لم تدر ما يفعل الهوى
بمن قلبه المحروم يهوى ويشعر
لكم شاقني من فيك لثغ محبب
اذا ما وعى سمعي حديثك يسكر
كلام كنفح الطيب ينعش خاطري
وهل من حديث الحب أحلى وأنضر

فكل هذه الاشياء الي يتعشقها الشاعر من حبيبه تتضاءل امام مجالات الفرح والتمتع بالجمال والملذات التي تمنحنا اياها الحياة .. فعلام التشاؤم اذن ؟

وفي قصيدة (الرحيل الاخير ص ٩٩) نجد البيت التالي : ـ

كيف اصطباري على فراقك ليتني
من بعد نأيك قد فقدت صوابي

وفي قصيدة (انتظار ص ٦٠) : ـ

سأم يفري كياني وجوى
يحرق القلب اذا عدل الاله

فالبيتان السابقان يتعثر فيهما الوزن .. وفي الديوان مقاطع قبيحة تشمئز منها النفوس مثل :

أنت يا فتان ألحان سمت
بشعوري ونشيد الأزل
أتراني ها هنا أفنى جوى
ثم تسقيني كؤوس الحنظل ..

ان الصورة التي يوحيها البيت الاخير قبيحة ومملة فالشاعر يصور نفسه يفنى جوى ورغم ذلك يسقيه فاتنه كؤوس الحنظل .

وهناك قصيدة جميلة في الديوان هي (يا ملهمي ص ٦٨) ومن أبياتها المقطع التالي : ـ

لا اللهو ينسيني ولا الخمر
ذكرى لها في خافقي جمر
ذكرى مليح صوته نغم
حلو الرنين وبوحه شعر
أنفاسه عطر وريقته
خمر ، ورجع حديثه سحر
يا طيفه من لي بعودته
أودى بصبري الشوق والهجر

هذه الابيات هي أجمل ما في الديوان من شعر ..
ولولا شذوذ عبد الخالق فريد وتبديده لمواهبه في مجالات التهافت لكان من شعرائنا الذين نعتز بهم .

* * *

وفي عام ١٩٦٠ اصدر الشاعر ديوانه الثاني (أغاني الحان القديم) وهو امتداد لديوانه الاول ففيه نرى كثيرا من الاشياء التي رأيناها في ديوانه السابق بيد ان الشاعر هنا قد تطورت قابليته وسما عن واقعه بعض الشيء . ونجد في هذا الديوان اربع قصائد وطنية اولها (اغنية الى تموز ص ٥٠) وهي قصيدة لم ترتفع الى مستوى الحدث وثانيها قصيدة (الجزائر)[٣] وثم قصيدة (اغنية الى يافا ص ٧٦) وهي قصيدة تقريرية تعتمد على السرد والجمود .. واما القصيدة الرابعة فهي (اغنية لاجيء ص ٤٥) التي ترتفع بقيمتها الفنية عن القصائد الاخرى الى جانب وجود الابيات الخطابية الباهتة :

أخي في الكفاح أخي في النضال
سنرجع بالبأس ايامنا
سيدري اليهود اذا ضمنا
واياهم موعد أننا ..
أسود الوغى لا نقر الخنوع
ونأبى الهوان لاوطاننا

والشاعر في ديوانه هذا ما زال يتباكى فكأن الحياة خلقت لعويل البشر وصراخهم المستمروانهزامهم من واقعهم .. وشاعرنا كشاب حساس مرهف لم يتجاوز الثلاثين الا بقليل ينبغي به ان ينظر الى الحياة نظرة جدية تملؤها الثقة بالنفس والروح التفاؤلية المشرقة ، ولكنه لا يقر بهذا وانما يتباكى على شبابه وكأنه قد شارف خريف العمر :

ايه عهد الشباب ذكراك احيت
غابرات الرؤى فأذكت شجاها
ايه عهد الشباب والعمر ولى
والاماني ذوت وغاصت رؤاها
والأزاهير يا لطيب الازاهير
شذاها عفا وغاض سناها
وانا ساهم أراجع نفسي ..
في أمان كم اصطباني هواها

والشاعر لا يقف موقف الملتزم بآراءه بل تسيره العوامل الخارجية في تحديد موقفه العام .. ولعلنا نجده في قصيدة (الغريب ص ١٠) يجنح نحو شاطىء الامل والتشوق الى حياة جديدة زاخرة بالحيوية والانطلاق :

أسير .. أسير وروحي الشقي
يلفعه الحب والاحنيات
فيدفعني بارق من رجاء
الى عالم زاهر بالحياة ..

ولكنه سرعان ما يخيب املنا ويعود الى قيوده القديمة يسعد بأن يتشاءم ويسره أن يرى الابيض أسود والجمال قبحا فيدعي ما يدعي ويظل يترامى بين امواج الخمول والبطر والشقاء المزعوم :

أينما دار ناظري ليس يلقى
غير اشباح وحدتي وشقائي
وأنا سادر أعيش بوهمي
لا أرى بارقا فأين هنائي ؟
جسد ناحل وقلب جريح
ومآسي تميت حتى رجائي
وطيوف تزورني في رقادي
فتريني الغناء قبل الغناء

انني أتصور هذه الابيات همسات ضعيفة واهنة تصل الى اذني باردة مطفأة ، بينما ما زالت في اذني تدوي كلمات قرأتها قبل مدة طويلة لسكوت فيتزجيرالد أتذكر منها : (ان اعمق لحظات التجربة والمعاناة ان تزغرد حنجرة رجل ما بضحكة مدوية بينما يتمزق شيء في داخله) .. ان هذه الكلمات تفتح امامنا افقا رحبا لكي نتفهم الحياة .. وانه لمن المؤسف ان ينظر الشاعر الى الوجود نظرة سخف وتفاهة فيبدأ قصيدته (الياس ابو شبكة ص ٦٤) ببيته التالي : —

ستعيش رغم تفاهة الاحياء
كالنسر فوق القمة الشماء

واذا تركنا مناقشة الشاعر في معنى هذا البيت

فيجدر بنا ان نذكره ان للشابي بيتا مشابهاً للبيت السابق وهو : ـ

سأعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء

ان سرقة عجز كامل ونصف صدر من بيت واحد أمر يخرج عن حدود التأثر وتوارد الخواطر .. ولكن هذه القصيدة بصورة عامة جيدة ، فهي قصيدة يرثيُ بها عبد الخالق فريد شاعره المفضل الذي أحبه وبالغ في حبه (الياس ـ ابو شبكة) ، ولعلنا نلمح في الابيات التالية شيئا لم نجده في قصائد الرثاء المألوفة : ـ

يا نائما .. والنور سربل روحه
بالحب والالهام والاشذاء
أفديك من قاس وما عودتني
الا السماحة في الرؤى الشماء
أين الشباب ، أصوحت زهراته
وذوت فغار بحفرة دكناء
حلقت كالنسر الطموح لعالم
عذب الرؤى مترنح الاجواء

ولعل من الاشياء الطريفة في الديوان شاعرنا يضع « للنهد والقميص الأحمر » منزلة سامية قدسية فهو يقسم بهما وكأنه يقسم بآلهة لا يمكن أن يقسم بها زورا وبهتانا :

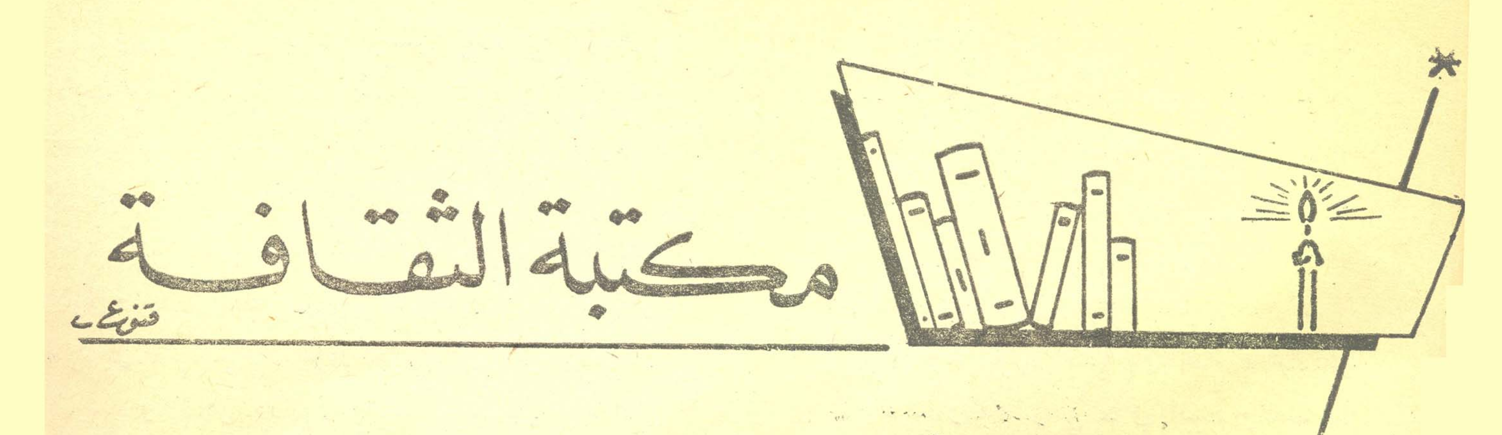
قسما بنهدك والقميص الأحمر
يختال نشوانا بأجمل منظر
مترجرجا نزقا بسر لصيقة
مما يعاني من لظى متسعر
قسما بنهد عطره يجتاحني
فيثير حمر رغائبي ومشاعري
أنا لا أزال كما عهدت حتيما
أرنو اليك بطرفي المستهتر

وهذا شيء في منتهى الطرافة .. وللطرافة مجال كبير في الديوان فاذا أمعنا النظر في قصائده سنجدأمورا كثيرة قد خرجت عن نطاق الجد :

وحاني والندل والمترفون
وكل « كيوسف » يحكي بهاه
أيسلبني الموت رشف الرحيق
رحيق الكؤوس وخمر الشفاه

أو لم يكن من الطريف أن يفخر الشاعر بألحان الذي يرتاده وبنادله ثم بالمترفين الذين يتقاطرون عليه .. وأخيرا نصل الى تعبيره الفاشل ـ وكل « كيوسف » ـ الذي وصم القصيدة بالرداءة والذي زاد الطرافة طرافة .

خالد الحلبي



مع الشاعر هاشم الموصلي في ديوانه « اللقاء الاول »

بقلم المحامي : مصطفى الخش

صديقي هاشم الموصلي المقدم المتقاعد في الشرطة ، سابقاً ، والمفتش الاول لوزار الداخلية ، حاليا ، فاجأني ، ايما مفاجأة ، بديوانه « اللقاء الاول » الذي صدر حديثا . بل لعمري ما فوجئت في حياتي قط بمثل ما فوجئت به ، ذلك لاني لا أعرف أنه يقرض الشعراء وأن له به هواية بل لا أعرف أن له هواية سوى أنه يجمع المال ليعيل عائلته ويعيش معها برفاه .

جمعتنا الوظيفة في دير الزور عام ٩٥٧ ، هو قائد لواء الدرك وأنا رئيس ديوان المحافظ . وكان رأي كل منا في صاحبه على غير ما يرام فما أن تعارفنا حتى توطدت بيننا صداقة متينة امتدت الى عائلتينا .

ولقد ران الصفاء على صداقتنا ، منذ أن تعارفنا حتى الآن ويا له من انسان ينبعث الطيب من جوانب حياته ! يؤثر العزلة ويخشى أن يخالط الناس ، يحاذر الاندية والمجتمعات ويبتعد عن الاذى ويعزف عن الظهور والتباهي .

عدت من اجازتي ، مرة ، فقيل لي : ان المحافظ غائب - وكان الاخ شاكر الانطاكي - وأنه اناب عنه قائد لواء الدرك لتوقيع المعاملات والاوراق فلا والله ما ان جلست وراء نضدي لم أترك له أن يضع توقيعه ولما لاحظ عدم اكتراثي به - بصفته وكيل محافظ - ابدى ، في رقة متناهية ، رغبته في ان يضع كل يوم توقيعا واحدا على الاقل ولكن دون جدوى فلم يغضب لانه ادرك أني ما قصدت تحديه بل آثرت التخفيف عنه وعدم ازعاجه بأعمال المحافظة الى جانب أعماله في دائرته ...

بعد هذه المقدمة عما أعرفه من حياة الشاعر انتقل الى ديوانه الذي يتألف من ١٨٥ صفحة من الحجم الصغير ، الطباعة انيقة والورق مصقول . عنوان الديوان كلاسيكي بحت « اللقاء الاول » دلالة على ما يحويه بين دفتيه من مشاعر غاية في البساطة وعدم التكلف ، وبلا تقعر أو تضع تنساب القصائد فيه كما تترقرق مياه الساقية بين العشب الاخضر . وان فيها الوانا ومواضيع جمة : « صور من المجتمع » ، « في الغزل ، خواطر ، وجدانيات ، في الاسرة ، المراثي .

النفس الانساني

والذي يعرف لا مبالاة الشاعر بالاشياء والاشخاص والحوادث وحرصه على هندامه وظهوره بمظهر المترف الغارق في النعيم يعجب كثيرا لديمقراطيته وانسانيته التي تشع في قصائده « صور من المجتمع » يهل بها ديوانه أول ما يهل ، طارقا فيها مواضيع لم يطرقها احد من قبله بل من النادر جدا ان يكون احد من الشعراء العرب قد طرق بعضها . وهذه المواضيع ان دلت على شيء فانما تدل على ان الشاعر الموهوب حقا لايستعصي عليه وصف أي كائن وعرض اي موضوع في شعره . وليس صحيحا ان المواضيع الاجتماعية هي من خصائص النثر اذ يصول فيه الكاتب ويجول باسهاب وتطويل .

وان الشاعر هاشم الموصلي ليعالج المشكلات الاجتماعية في شعره تحت عناوين : جدب ، الخادمة الصغيرة ، الى حمال ، عذراء ، شحاذ ، المخدوعة ، الى كناس ، في المرقص ، دكاني .

وتبين معالم النفس الانساني الصرف في قصيدته الاولى « جدب » فليس فيشعره سوى آهةصدره واصداء قفره بل لقد استباحت صور البؤس كل شعره واذا كان لا يشد وللازاهير فلأن زهره - منذ أن برعم - اغفى ذات فجر

ليس في شعري سوى آهة صدري
ليس في شعري سوى اصداء قفري
صور البؤس استباحت كل شعري

* * *

كيف أشدو للازاهير وزهري
منذ أن برعم اغفى ذات فجر

لكنه - وهو على هذا الحال - من اليأس المفجع ، لا يرضى ان يذل الدهر كبره

غير أني لن اذل الدهر كبري

وتند في خاتمة القصيدة صرخة من أعماق صدره ومصاصة قلبه فيدعو الى محو الفوارق بينالطبقات بعفوية الطفل البريئة لا بلسان الرجل الحاقد

لم بين الناس محروم ومثر ؟!
صرخة دوت على رغمي بصدري
لم تزل تأمل ردي ذات فجر

ولبيك - أيها الشاعر - فان الصرخة التي دوت في صدرك - برغمك ! - تدوي في صدور الكثيرين يتطلعون الى غد مشرق منير تسود فيه راية العدالة الاجتماعية سائر الارجاء فيحق الحق ويمحق الباطل فتنقشع غياهب الظلم ويزول الفقر ويمحي الحرمان من الوجود . ولله در النبي العربي حين قال - واكرم به من قائل : « لا يؤمن احدكم من يبيت شبعان وجاره جائع »

الخادمة الصغيرة

ويصف « الخادمة الصغيرة » عارية يهبط بها والدها من أعالي الجبل العالق بين الغمام ويجيء بها البلدة - تحت الدجى - يبيعها في السوق بيع السوام

عارية جاء بها من أعالي
الجبل العالق بين الغمام
جاء بها البلدة تحت الدجى
يبيعها في السوق بيع السوام

ويا لها مكبوتة العبرة خشية أن تضام ، تعدو اثره وقد خلفا - والدها وهي - في البيت والدتها المفجوعة التي تبصرها في كل طفل تراه فتنحني وتلثمه

تبصرها في كل طفل ترى
فتنحني تلثمه لثمتين

واما تبلغ الطفلة البلدة ، تشده مما ترى وتبصر غير ما رأته وابصرته في قريتها تتلمظ أن تذوق الحلوى وتسبي قلادة من الحلي عينيها فتود ان تهديها لامها الحنون في العودة . وما الطف الصورة حين تستهجن الخادمة أن ترى امرأة عايرة الساق ومخضبة الفم بالدم : أحمر الشفاه

وهذه المرأة يا عارها
تكشف سيقانها للغريب
كأنها قد لعقت من دم
ولم يزل بالدم فوها خضيب

وماتني ترنوا الىالاشياء الغريبة عنها مفتونة والقلب منها عالي الوجيب ، حتى يتلقفها النصيب شأنها شأن البائسات امثالها وحتى ينفرط العقد - قبيل المساء - بينها وبين والدها فتنخرط باكية في احد المنازل بينما يعود والدها الى الحمى جذلان بالمال الذي يحمل ، يعده اكثر من مرة ويحتار - ككل قروي في انفاقه ولا سبيل لديه الا أن يشتري ماعزا أو بارودة أو يختار له غير زوجه عروسا معجل مهرها في قبضة يديه ويزول العجب من وفرة هذه الصور اذا علمنا ان هاشم الموصلي شاعر ورسام - معا - فاللوحات التي قدمها لنا في هذه القصيدة تتنافس في الجمال والروعة فهذه لوحة الجبل العالق بين الغمام يهبط منه والدمع ابنته وتلك صورة الطفلة الباكية تعدو اثر والدها مكرهة الى مشهد الام الحنون تنحني

على كل طفل فتطبع على جبينه قبلتين ودمعها يجري على المقلتين • وأضحك هذه الصور ، صورة طفلة قروية تنفر من امرأة عارية الساق ، مخضب فمها بالاحمر القاني • وانه لتشجينا صورة طفلة فقيرة تعول في المطبخ بينما سيدة الدار واولادها في شغل عنها يلعبون واخيرا صورة الرجل الذي يزدهيه المال ، يعده فرحا اكثر من مرة ، وتتراقص أمام ناظريه ، من بعيد ، الماعز والبارودة والعروس •

لم يتفلسف الشاعر في عرض الصور وانما ترك للناظرين أن يستخلصوا العبرة بل لقد وجههم الى ما يريد وجعلهم يشعرون بشعوره : لكأني به يمج أن توضع طفلة في غير أحضان والديهان • وانه ليستدر الشفقة على الخادمة ووالدتها بينما يصب جام الغضب على الوالد المتحجر القلب ، يفرحه المال فيعده اكثر من مرة ولا تشجيه العبرات تنهمر على خدود طفلته ووالدتها •

الى حمال

والحمال والكناس والشحاذ استحقوا أن يكون لهم موضع الصدارة في شعر الشاعر أوليسوا بشرا سويا مثل سائر الناس ؟ ولماذا لا نعمق نظرتنا في الحادحين فننتشلهم من وهدة الشقاء والبؤس الى حال من السعادة والرفاه • وليس في هذه القصائد سوى الحديث عنهم ، يعرض صورهم ، بدقة وماأنة ، فتحسب أنك تعيش معهم وتتحسس بالامهم فعلى كتفي الحمال الحبال الشداد وفي قلبه نار تئز وفي حشاه صراخ رهيب الصدى

على كتفيك الحبال الشداد
تندس على خرق كالردى
وفي القلب نار تئز وفي
حشاك صراخ رهيب الصدى

النار تئز والصراخ رهيب • أي انذار أبلغ من هذا الانذار ؟! ويا أيها المترفون أفيقوا من غفلتكم وتنادوا الى الرحمة بالكادحين قبل أن تحرق النار في قصوركم وقبل ان يبلغ الصراخ الرهيب مداه فيخمد أنفاسكم وتندموا حين لات مندم

ويفي الشاعر الموضوع حقه فيدل في خاتمة القصيدة أن الدرب واضح ولا بد أن يسلكه الكادحون لا من أجلهم بل من أجل ضمان مستقبل أبنائهم

ألا انه واضح دربنا
سنمش عليه الى المنتهى
فاما نبلغ اوطارنا
واما تغيب تحت الثرى
ويحصد اولادنا زرعنا
هنيئا لهم زرعنا المجتنى !

فالحياة أو الموت • واذا ما بلغوا الوطر فهنيئا لاولادهم زرع ابائهم المجتنى •

وصف لنا الشاعر حياة الحمال من ألفها الى يائها بأسلوب رائق وحديث حلو ليس فيه تهويل أو مغالاة لم ينح الشاعر باللائمة على احد لم يهدد ولم يتوعد مخلوقا بعينه بل لم يحمل أحدا مسؤولية سوء حال الحمال الذي يهل قصيدته بمخاطبته

تكد وتشقى طوال النهار
ولا شيء تكسب الا الضنى

وانما اكتفى هاشم الموصلي بأن صور لنا واقع الحمال ـ أي حمال ـ على حقيقته من أوله الى آخره ، ما بطن منه وما ظهر ، ما يلاقي وما يعتمل في نفسه ، تاركا للقارىء تقدير ما سيلاقي منه المجتمع بنتيجة « المخاض » مما هو آت لاريب فيه • ولو قدر للحمال ـ أحد الحمالين ـ أن يصف حاله أو أن يعبر عما يجيش في صدره لما استطاع أن يزيد كلمة واحدة عما قاله « الشاعر » بلا موجدة ولا ضغينة بل بروح الانسان المحب لاخيه الانسان •

الشحاذ

وبريشته رسام ماهر صور لنا ، ايضا ، الشحاذ ، يقتعد مفرق الطرق ، وصبيته من حوله يعلقون كالقمل اظلامىء في ذيل الماره ، وهو يلقي عصاه تحته ويصلح « ماكياجه » من حين لآخر ويهدر صوته الاجش بالنشيد ، دعايته في مهنته اطماره الرثه وعلله في مقلته وساعده تختلف بين فترة واخرى حسبما يريد لكن

منظر الشحاذ وصبيته يقذي النفس والبصر بل انه ليعصر قلب الحجر للبه الشاعر

منظرهم يعصر قلب الحجـر
في حين يقذي النفس يقذي البصر

ومتى كان للحجارة قلب ولكن الشاعر جعلهـا مخلوقات حية تعصر قلوبها عصرا دلالة على أن المنظر الكئيب لا بد وان يضطرب له الجنان

وآية الشاعر في هذه القصيدة أنه يضع العلاج الشافي فيشن حربا على الجهل والجوع يدعو قومـه أن لا يعطلوا طاقاتهم فيعملوا على مكافحة التسول بجمع الشحادين وتثقيفهم مـن بعـد اشباعهم ليستشعروا « انسانيتهم مثلنا » . والمثقف فرد يساوي الوفا مـن الجهلة أو تزيد ـ على حد قوله ـ

طاقة قومي لم تـزل عاطله
بالجائع الجاهل والجاهله
يا حبـذا لو أنهـم جمعـوا
وثقفوا مـن بعـد أن يشبعوا
الى كناس

وتبين روعة الوصف وجزالة السبك في قصيدته التي يتوجه بها الى « كناس » يسير في كل درب متسربلا بشبه ثوب ، يستنشق القمامة مثلما نستنشق الزهور . المقشه عدة عيشه وسلاحه الذي يخوض به ميادين الكفاح :

متنشقا نشر القمام كأنه نشر الاقاحي
في قبضتيك مقشة هي عدة العيش المتاح

ويسير الشاعر جنبا الى جنب في محاذاة «الكناس» عبر الايام والليالي ، في البرد والقر وتحت هزيم الرعد وبين الازقة

لا تستقر ولا تكل ولا تفكر بارتياح

ويظل معه في رواحه ومجيئه ، لا يترك شـاردة ولا واردة في حياته دون أن يتكلم عنها ولا يتركه يجأر بالشكوى بل يتولاها بنفسه مخاطبا اياه ـ تدليلا عـلى صدق محبته له ـ وأنى لمعاشه أن يسد رمقه بله الكساء والطبابة والوقاية وبدل الايجار لصاحب البيت المجلجل سقفه ولو كان وحيدا لما كان ثمة سبب للشكاية ولكن ما حيلته ابطفاله الصغار الذين يماطلهم كثيرا في تلبية طلباتهم والذين دفعهم الى الوجود وطرحهم طـرح القمامة ؟!

ولهفة الشاعر عليه تتجلى في انه جاء الدنيا بـلا هدف وسيغادرها دون أن يخلف اثرا سوى بنبين بعدد التراب ليس لهم من يحميهم ولسوف لا يرث منـه المقشة الا النابه المحظوظ ... بالنهاية !

والف تحية اكبار واعجاب للشاعر هاشم الموصلي الذي غـاص في أعمـاق نفوس الحمـالين والكناسين فاخرج منها الدر : شعرا تنبجس من ابياته روح انسانية تهيب بالمجتمع أن يمد يد العون للكادحين فيرفع مـن مستواهم قبل ان ينفخ في الصور وتزلزل الارض زلزالها فتخرج أثقالها !...

(للبحث صلة)

مصياف المحامي مصطفى الخش

* * *

..ولنا الى (التسكع .. والمطر) عودة

بقلم : فائز خضور

... ومع أصابع المطع الناعمة التي تدغدغ شفاه الارصفة وخدود المارة بوداعة ، نعود لنتسكع .. ولكننا في هذه المرة سنتقرى تلك الانامل السديمية التي تقلمت أظافرها مع ريح الشمال تارة ، وأنشبت بعنف مـع الدبور والسموم تارة أخرى .. فيارياح الشرق الحزينة تريثي ، أستحلفك ألف ألف خصلة شعر غجري في أمتي ...

ولقاؤنا الثاني مع (التسكع والمطـر) لاسماعيل عامود ، يكون لقاء نفسيا وليس فنيا محضا كما سـبق وتلاقينا في المقالة السابقة . وهمنا من حروف الشاعر هذا اليوم ، هو الصلة الحقيقية للمعاناة التي برعمت حياة هذه الحروف وكوكبت حولها الخيط الفكـري

والقيمة التعبيرية والشعورية في استجلاء الروح التي عكست ايحاءات التجارب عنده ..

والشيء الذي سنعقد معه صداقة ، هو الظلال النفسية التي تكمن وراء التعابير التي وردت في الديوان ، وللدخول الى الساحة ليس أمامنا سوى كوة واحدة ، ألا وهي الدراسة الذوقية الجمالية لهذا النتاج . ونحن لا نعتبر هذا العمل نقدا بكل ما لهذه الكلمة من مدلول ، وانما هي دراسة ذوقية كما قلنا . وانه لمن المضحك فعلا أن بعض النقاد المحدثين حاولوا أن يضعوا مقاييس معينة لمدى التذوق الجمالي للعمل الادبي . وهذه الظاهرة لمحنا طرفا منها عند جمهرة من نقادنا القدامى الذين كانوا يقطعون في رأيهم بسلامة العمل وسموه ، وهلهلته وابتذاله . وكل هذا وذاك يجعلنا نقول ـ مضطرين ـ : بأنه من الغبن بمكان أن نقطع كليا بعمل أدبي مهما كان ، ولو من الناحية الاسلوبية المحضة ، فكيف هي حالنا عندما نقطع أو نسمع بنا قد يحاول أن يقطع برأيه في تحديد المقياس الذوقي ـ المعنوي ـ الذي لا يمكن بأي حال من الاحوال أن نخطط اطاره الذي يختلف مع كل انسان ، ومن بيئة الى أخرى . وما دمنا ، والحالة هذه ، حيال شيء زئبقي الملمس ـ ان جاز لنا هذا التعبير العامي ـ يروغ من بين أناملنا ، ضبابي الهيولي ينقشع تحت أهداب الشمس ، فنحن لاندعي الوصول الى غرض الشاعر مطمئنين الى تلمس الجذور الخفية لاشعاره ، وذلك لان شعوره بالذات ، واحساسه بكلماته يختلف من حين الى آخر ، فيضطرم مرة ويفتر أخرى .. ويغور تارة ويطفو تارة ...

وعلى ضوء قول ميخائيل نعيمة : (لكل كلمة اذن ، فلعل أذنك لم تكن لكلماتي) نسير محاولين فتح بعض الابواب في قصائد هذه المجموعة ، مستمعين الى الهينمات التي ترضي ذوقنا ، في الوقت الذي تسيء للآخرين ، والعكس صحيح ...

« فالمدينة » هذا العالم الصغير الذي قرر أن يمتطي صهوة جواده المطهم في حلبتها .. هذه المدينة التي ألبسها رمزا تعدد وتلون في قصائده وتركها مرة في قصيدة (يافا .. والاوسمة الحزينة) ليعود ثانية اليها كي ينهي سباقه الذي نذر نفسه الى انهائه . وهو عندما بنى في سور تلك المدينة لبنات مختلفة الاشكال ، خلق منها امرأة مومس ، شهوة ، ذل .. هذا كل شيء يتبادر للذهن عند الوهلة الاولى ..

ولكن اسماعيل لم يقصد المرأة من هذا الجانب (الغريزي) فقط ، وانما ربط ذلك بشيء ينام في خبيئة نفسه ومفاهيم مشوهة تحتضنها هذه المدينة المغبرة بالذل والخطيئة ، وغرفة الشاعر التي فوق السطح ليست صومعة أو برجا عاجيا أو كوخا مجردا ، وانما هي تمثل تطلعه الى العلاء نحو المطلق ، نحو الجديد ، جامعا تحت جناحيه حفنة من زغب واقع المدينة ...

وقوله : (أود لو أملك شطيرة من المقالي الرخيصة ..) تعبير بسيط جدا ،يراه المؤثرون مبتذلا ، وليس هذا سوى أمنية تافهة من شاعر . ولكننا عندما نعيش الحرمان المحروق المتلهف الى شطيرة المقالي ، والرخيصة بالذات ، نحس وراءها عالما من المشردين ، وليس الشاعر بالذات . والشطيرة ليست هي الغاية المرجوة من قوله ، وانما هي لمسة ظاهرة لحالة يعيشها جانب كبير من مجتمع هذه المدينة ، ولجفاء ظالم تتخذه تلك المدينة (التي تضن على الشعراء الافذاذ ..) .

.. ويظل الشاعر مرفرفا في جو المدينة .. المدينة القاسية التي تنام بلا أحلام ، حسبها من الحياة ، المظاهر والقشور التي تتمثل بالطلاء والزينة ، في حين يمزق السأم والحمى أفكار السهارى المخلصين الذين تلفهم الوحشة وينهبهم التسكع والضياع ... لعوب هي تلك المدينة المرأة ، ماكرة لا ترحم .. وحتى هذه النقطة تظل المدينة هي المنشودة . ولكننا نلمح في أغوارها زنابق كثيرة ، نساء حييات .. فعندما يقول :

« تتصاعد التنهدات من أظلاف الابواب والنوافذ الفقيرة .. »

يظهر لنا أنه استطاع أن يكشف ستار الكبت والخوف اللذين يرعيان قلوب الناس الصابين الراغبين في العب من معطيات حياتهم ، المشاركين في تطور سلوكهم ..

وبعد هذا تنهار المدينة وتتداعى أسوارها وتغوص

في المجاري ، فيتركها وقد عاد به الحنين وأكلته الخيبة ، وتقهقر عائدا أدراجه الى قريته التي ترك تحت أفيائها الظليلة روحه ... روحه التي كلفت بمعطيات تلك القرية ، من خمر وزبيب ونساء وأطفال .. ولكنه عندما يقول :

« للنساء أردية ذات عروق وسيعة وكبيرة ملونة ، وأثداء .. »

يجعلنا نلومه على هذا التعبير من ناحيتين : أولاهما أنه قال (وسيعة) ومن ثم قال (كبيرة) فهذا التأكيد غير مستحب ، وأظن أن للكلمتين مدلولا واحدا تقريبا من حيث القصد الذي أراده . والثاني أنه قال (النساء) ثم أنهى البيت بلفظة (أثداء) ، هنا نخرج بخطأه حين قصد الاسراف في الشرح ، والتوضيح ، لان الصلة (الفيزلوجية) بين اللفظتين شيء طبيعي ملموس . وهذا يشد الصورة الى السطحية . وفي معرض النساء بالذات مر تعبير (النساء المفضلجات) فهي عامية مستحبة وغير موحية بحد ذاتها ، وذلك لتنافر حروفها وضحالة مدلولها ، وأظنه قصد بها النساء السمينات الممتلئات ، وما أدري أي هدف رمى غير هذا ...؟

وعندما يقول : « أيتها القبعات الكريهة المنظر .. » انه يقطف صورة ساخرة يزين بها أناسا لهم علاقة ما في نفسه ، يعكرون صفو خلوته ، أو لعلهم يسترون تحت قبعاتهم تلك ، أشياء مشلولة تثير حفيظته وتقلق باله .. ونحن لا ننكر وجدانه الذي عكس لنا خيال الفقر والجدب الذي تسربلت به تلك السنة .. بخيلة أنت أيتها السنة .. يا من :

« يداك ضرجتها بلون الجوع في حارتي .. »

هاتان اليدان اللتان تجعلاننا حيال شاعر قصقصت الفاقة ريشه ، وأمضه الطوى ، ولكنه ليس الوحيد الذي يلطأ تحت سطوة هاتين اليدين اللئيمتين ، وانما قطار من السغب القاتل يشحن أشلاء مصير طويل لجانب كبير من المدينة التي يغازلها الشاعر ...

والديوان غني بهذه التمتمات والهمسات الشعورية النفسية الحلوة .. ولكن مع الطرافة والعمق في تصوير حالته النفسية وحالة البيئة المحيطة به ، كان حشد من الصور كثير ، بسيط ، يقحم نفسه بدون استدعاء وبغير حاجة له . وبين هذين العالمين كان (صاحب التسكع والمطر) يظهر ويختفي . ونحن نشد على يده عرفانا له بهذه الجرأة التي خرجت بعض الشيء عن نطاق القوقعة التقليدية التي نسجت ظلاما عنكبوتي الخيوط حول عقول لا تحصى تطالب حتى بمراسيم التحية ..

(الجامعة السورية) ـ فائز خضور

ادفيك شيبوب في ديوانها الاول « بوح »

ان شعر الغزل الرفيع ، أحب الشعر الى قلوب الناس !! فصدى الوجدان في ترجيعة كلماته ، لهو الخيط المتين الذي يجذب غيوم الخير تحت سماء الانسانية فتمطر غزارة ، وتعطي دون حدود ، وتكتمل اذ ذاك المشاعر الشفافة ، وتتبرعم زهرة العطاء الافضل فوق تربة القلوب العاشقة بصدق ؟.

وما أجدرنا اليوم ، أن نتحدث في هذه العجالة عن ديوان رائع ، للشاعرة اللبنانية « ادفيك جريديني شيبوب » . ذلك هو النفحة العاطفية السامية « بوح »

فاذا كان ، والتقيت ذات مرة بهذا الديوان ، لكأني أراك غارقا بين دفتيه الانيقتين ، بعمق العاطفة ، واصداء الكلمة الآسرة .. تنسيك بحلاوتها ما أنت سادر فيه ...! حيث الاحلام اللازوردية ، تنتقل بك وانت سجين حلم لذيذ ، تعيش دقائقه في جنة وارفة المعرفة ... تحت سماء زرقاء صافية ، وتتنسم العمق الروحي في كل كلمة من كلمات الديوان ، فتعانقك الهمسات المنفعلة بصدق بين سطر وآخر .

بل ان تلك الطفرة النفسية الغنية ، التي يماثل وجودها غزارة النبع ـ عند سفح الجبل ـ بالماء الصافي المثلج ... لهي أقرب وأدل .. لانك هنا ، وفي محراب الكلمة المصوغة من عاطفة خالصة ، انك هنا ستحلق بعيدا في عالم « الانسانيين » ، بعيدا عن دعاة الانسانية المزيفة ! وتكتشف في غمرة هيامك .. ان كل ما كتب

من قصائد ، لها ما لها من العمق الاصيل ، والدلالة الواضحة ، وان جل ما ورد من همسات روحية ، هو نتيجة حتمية للتفاعل الواعي مع عناصر الحياة •

وهو أيضا حصيلة غنية ، لتجارب متينة ، اخذت من كيان الشاعرة الكثير !! واعطت بضع عشر قصيدة، هي خلاصة لتهويم الروح في مصاف الآلهة •• وهي الى جانب هذا ، شومل العاطفة الغارقة ابدا في اعماق الأمل والطموح ، المتمازجة تمازجا شاملا بالوعي الصحيح لمختلف المحن التي تصيب الفرد الانسان اينما كان في المجتمعات الانسانية •

ان الشاعرة « ادفيك شيبوب » ••• ابنة الارض التي يتمرس فيما بين روابيها ، ووديانها الخضر ، تلاميذ النبوغ • ويترعرع فيما بين جبالها الشم •• وشواطئها المطرزة بالسحر « شيطان الشعر » او ان صح هنا « ملاك الشعر » •

في لبنان •• تلك الكلمة الشفافة التي تشف لنا عن احلى دنيا بمعناها « الأنيق » !

هناك •• حيث تصطبغ احاسيس الشاعرة بالحب العظيم ، والعاطفة المشبوبة اعطت لنا ـ ادفيك ـ اعذب الشعر ، وبثت بأسلوبها الرشيق ، روح الامل في محراب الكلمة فأكسبتها شاعريتها الغزلية السامية :

في بكوري اليك ، اليوم ،
بشت بوجهي شجرات اللوز ،
على مسرح ضيعتنا :
شعانين ، شعانين،في بياض موشى،بين تكايا خضر،
تغوى دلالا وتيه ••

وأدفيك ـ الانسانة ـ التي خاضت كما يبدو ، تجارب الحياة دون هوادة ••• لا تنسى ان تصور لنا بطريقتها الرصينة •• تلك المشاعر الخالدة التيواجهتها فيما مضى من العمر ، مما يجعلنا نتساءل :

أي انطلاقة رزينة تسكن اعماق ـ أدفيك ـ ؟

لنسمع اليها تخاطب بحارا شابا يصارع الانواء بكبرياء وجلد ، كرمز شبيه كل الشبه من واقعها اذ تقول :

أي غوي زين لك ركوب البحر ،
في هذا اليوم المجنون ،
والمخاطرة وحدك في الزورق المترنح ؟
هل ضاقت نفسك بالناس ، وبضوضائه
فوجدت الراحة في احضان البحر ؟

ترى أي عاطفة مشبوبة بالسمو ، استرسلت الى رحاب الالهام الشعري ، لدى الشاعرة ، فأبدعت تصوير واقعها الاليم ، بأمانة ايما ابداع •• من خلال عرضها علينا لجزء من حياة البحار المخاطر •

لذا فهي تتساءل في قصيدتها تلك :

هل في حكايتك ما يشبه حكايتي
أيها البحار ؟؟

انها الوحدة •• والألم •• واكتناز هذا الألم طويلا دون جدوى !!

فزورق هذه الانسانة قد تحطم ، بتحطم بعض كبريائها •• وزال الاطمئنان من ذاتها ، فغدت كالتائهة دون منتهى :

هذه حكاية عمري معه •••
اجل ، لقد عشت بعده ،
انما عشت انسانة ثانية ،
قلبها مغلف بجليد •••

يا للكلمة •• حين تنطلق من اعماق شاعرتنا ، فتبرعم في عالم الانسانية ، وتتحول الى عالم سحري ، لان ـ ادفيك ـ هي بحق خير عازفة للحن الخالد •• اللارجع ابدا لصدى الايمان ، يرافق الرعشة الانسانية ، التي لا تمت الى الغزل الرخيص بأي صلة ، الغزل المبتذل الذي سننته بعض الشاعرات الاخريات لهن سبيلا للشهرة والظهور •

لنسمع اليها تقول :

•• في الليل •• لج بي الشوق ، فأبت الىقلبي،
اسكته اعاتبه :
•• كف عن خفقانك ، يا قلب حرام عليك !
لقد اوجعتني •• لقد اضللتني !!
ان كان ثمة حب جديد يترعرع بين جنبيك ،
فاصرعه الان •• قبل ان يقوى عليك •
خير لك ان تقطع اوتارك وتخنقها ،

من أن تستمر في لحنك اليائس ...
اما ترى - ويحك -
الخاتم الذهبي ... على اصبعه ؟؟
وتنتصر - ادفيك - في امتحان العواطف الانسانية ، وتحتل مكان الصدارة من حيث الابداع الفني في الشعر ، لانها استطاعت اعطاء الحادثة ضمن اطار جميل الصورة ، يجمع بين عمق الاحساس ، وبساطة السرد :

... في بيتنا على شرفة البحر ،
حوض صغير من الزهر ،
كان مشعشعا بالبياض ،
يوم اهديته اليك في عيد الامهات
على اسمي واسم اخوتي
لن انسى ما حييت ، ابتسامة الرضى في عينيك ،
تتمليان النظر في زهراته المتفتحة ...

وتستمر - ادفيك - في مناجاة « الزهرات البيضاء » اذ يتحولن في شرفتها الى قلوب انسانية ذات طيبة !! تهديها الى امها في مناسبة عيد ؟ ثم هي تختتم قصيدتها تلك قائلة :

هل هي محض صدفة ، هذه الصلة الوثقى ،
بين روحك ، وروح زهراتك البيضاء
يا أمي !؟

★

في تلك الوثبة ، المشبوبة بالطموح ، التي طلعت علينا بها « ادفيك » متخذة الكلاسيكية وسيلتها في التعبير ، يبدو لنا انها رغم تلك الشفافية الساحرة التي تشف عن روح تفاؤلية كريمة .. فان هناك في اعماق الشاعرة .. مأساة عميقة الجذور ، واي مأساة :

اهكذا سريعا ، تخطفه وتغيب ، يا طيفه ،
فتغص الاغنية الرقاصة ، حائرة في فمي ،
وتختنق في قلبي ؟!
لا ، لا تقل كان حلما ساخرا وراح !
فيدي هذه ، كانت الى برهة في يده
وهد بي على هدبه ،
ووسائدي للآن ، شذيات بطيب عرقه !
لا ، لا أصدق انه حلم !
الى أين حملته وطرت به يا ليل ؟؟

اذاً .. فقد هامت الشاعرة في مأساة هي أقرب الى اللعنة ، لانها فقدت بين ساعة واخرى صديق عمرها .. وشريك شعادتها .. الانسان الذي علمها كيف تغزل الكلمة الحلوة .. بين السطور .. واشار عليها .. ان تغدو الكلمات ورودا متبرعمة ، تفوح بالعطر في قصيدة عصماء ، ولما استفاقت بعد لحظات لم تصدق ما هيأ لها القدر ، فراحت في مصيبتها تستعيد الذكريات الراحلة الى الابد . بين نزهة وحديث .. وبين همسة حب ولمسة شفة ، كي تحول هذه الذكريات الخالدة بينها وبين النهاية السوداء ، اذ هي تمادت في حلقة التشاؤم المميت :

- اتذكر ، يوم كانت شجرات اللوز في جلالينا عرائس
كيف كنت تسابق اترابك ، تتسلق الشجر ،
لتنتقي اجمل برعمة ،
تشكها على مفرقي ،

زاعما ان مكانها هناك ابهى ؟!

وتسترسل - ادفيك - في قصيدة اخرى .. تحكي لنا ذكرياتها الطفولية البريئة ، المتصلة اتصالا وثيقا بالماضي القريب ،
انها تناجي الانسان الذي ظل رغم موته الجسدي حيا في اعماقها العطشى بجسده وروحه معا :

وثمة مرة واحدة ،
لم تبح لي بما ضج في اعماقك ...
وبغريزتي كنت اهجس ان يوما سيجيء ،
لا يفصل بيننا ليل ..
لكن ايامنا التاليات سخرت منك ومني ،
وقدر لحلما الوردي ان يختنق في مهده ...

لقد اطلت الشمس على أبناء البشرية ، وامتدت خيوطها في دروب الحياة ، اذ ذاك استرسلت الى وجدان الشاعرة فأخذت تبدع .. وتبدع حتى ناءت بعظمة الابداع الذي تمخض عن تجارب فذة ، وظروف اجتماعية قاسية .

لقد احتملت صاحبة « بوح » سنوات عدة ، غضبة القدر وشح عبير الحياة ، عن آمال النفوس العاشقة ، دون ان تجدب سهول الصبر لدى الشاعرة ، ودون ان تجف أو تذوي عناقيد الامل والتفاؤل لديها طيلة سنوات الفراغ .

... عواصف ثلج ، ورعود ...
ما كانت قط في البال ، ونيانا ، بعد خريف !
ما رأت عيني ، منذ وعيت ، كهذا العصف الصاعق ،
يزرع الرعب في ارضنا ، وكانت الى حين ،
صحوا وشمسا !

واجدبت ينابيع الخير عن غزارة العاطفة السامية ، دون ان تقنطر شاعرتنا يوما ، وصبرت فكان لها في الحياة سلوى !!

– زغلولان – ؟ هما طفل وطفلة ، كل ما بقي لها في دنياها !

طفلان يحببان اليها العيش ..! وتستمد هي من وحي عنفوانهما ، املها في الحياة الافضل .. عند هذا تتمخض تجربتها عن الصدق والمعاناة .

انها في غمرة سعادتها بطفليها ، تروي لنا بعفوية صافية .. تلك الساعات الخالدة التي تجمعها بطفليها في لهد بريء ، كلهو الملائكة : وتتجسد لديها اذ ذاك مشاعر الحب العظيم فتنسى في غمرته شقاءها – الرهيب :

طار مع الصبح الى سريري :
صغيران – بعمر الورود ..
وتحت لحافي غلا ، وطلعا علي :
بوجهين خضيبين ، لونا ،
وبعيون ، تزهو على الشمس اشراقا ،
وعلى النجوم غمزا ورقصا ...
وتزاحما على ذراعي وعنقي ، دغدغة وشما ،
وتناتشا قبلاتي ، عاصفة من هياج واحتجاج ...
فطابت في فمي رشفات القهوة ،
تجيئني تقليديا ، في السرير
على صينية من نحاس ،
كأنها الذهب !

واطمأنت في سير حياتها الى تلك السعادة الغامرة التي تشع من وجهي ولداها .. فعوضهاذلك عن الماضي ، بلون جديد من الحياة الهادئة ، صبغ ايامها بالالق ، وحملتها القناعة على نسيان الالم الذي بدأ ينجز تفكيرها :

... في المعبد جثوت على ركبتي ضارعة :
اقرع صدري ، دموعي الحرى تبلل خدي ونحري
فلا عبق البخور الزكي
ولا نور الشمعة الناعسة اللاهثة :
ولا ترانيم الكهان .. اعادت الدفء الى قلبي ...
بعيدا .. بعيدا قفلت ، وحدي ، في شرود ...
همت على وجهي ، في ظلام الليل ..
وما أزال !..

أرادت ان تنسى الدموع السخينة ، والالم المترف بالذكريات لكنها لم تنس ابدا ذكرى زوجها الراحل .. هذا الانسان الذي اذاقها حلاوة السعادة ، وطعم الامل .. وغدا في دنياها الخاصة جديرا بكل كيانها كامرأة .. وكانسانة .

وفي تجربة العواطف الانسانية اثبتت مقدار قوة الحب الذي تكنه في اعماقها له .. وبجدارة قصوى اعطتنا صورة نبيلة لهذا الحب الاصيل ، حبها الراحل دون عودة . فتجسد في شخص ابنها البكر .. الطفل الذي تعتلج فيه روح ابيه ، ويتمثل بجسده الغض بكل طموحه ، وكل انطلاقه بشخصية ابيه الفذة ، الجامحة :

... لا ، لن تذرف كعادتها ، دمعا سخيا ...
هي اليوم ادنى الى السعادة ، منها الى الدموع !
يا روعة ما يتجلى لعينيها !
أيشرق في قلبها ، من جديد ، امل ريان اخضر ؟
أيعود حبيبها ، يخطر في الدار ، بعدفراق مضن سحيق ،
فتنعم بطلته ، ملء العين . – ملء القلب ...
في شخص هذا الصغير الغالي – صغيره ؟

*

ان الفكرة الرئيسية لهذه الملحمة الرائعة ، وهي انسانية عميقة الجذور ، تكمن من وراء هذه القصائد

المنتقاة في جملتها ، والتي تمثل في ديوانها الخط الرئيسي ، قد مرت في ذهن القارىء دون ان ينتبه الى مكنونها !

ولكن عاطفة ـ ادفيك ـ اذ يتعمق القارىء في كل كلمة من كلماتها ، ويبحث عن الكلمة الشعرية التي قدت من عاطفة في مختلف اتجاهات قصائدها تبدو جليا بلغة سلسة تحكي عن المثل العليا التي تمثل قانون الحياة الاجتماعية والفردية لدى الشاعرة !

فأدفيك في واقع الامر شاعرة من ذلك النمط الآخر من الشعراء الذين يجعلون انطلاقتهم الشعرية حية ، عن طريق استخلاص الشعر ، وبث روح الحياة فيه بما فيها ، وهي لم تقف فقط امام مشاكل الحياة وجها لوجه فحسب ، بل • واجهت ايضا الظروف المأساوية الحادة ، واخذت منها انعكاس تفاعلها الفردي ، الى جانب التفاعل الانساني العام •

لذا •• فقد جاء « بوح » •• النشيد الانساني الخالد ، لتمجيد السمو الروحي من خلال العاطفة الانسانية •• وهو شجب لعالم الرذيلة ، والانحطاط الروحي والوجداني على السواء •

ولهذا •• ستبقى هذه الملحمة الانسانية ابدا لسان حال الانسان المتحفظ بمثله السامية ، رغم تحمله لشتى ضروب القدر الرهيبة ، وفي سبيل الوصول الى هدف بعيد كل البعد عن الروح المادية التي تسيطر على انسان هذا العصر • قريبا كل القرب من الروح الهائمة أبدا في محراب السمو العاطفي والانساني الشامل ••

★

ذلك هو بعض ما استطعت أن أهمسه في الحديث عن الديوان الاول للشاعرة « ادفيك جريديني شيبوب » صانعة الكلمات الغزلية السامية •

★

انها احدى النسيمات الرقيقة في سماء الحياة !
كما ان ديوانها تجسيد واع للصراع الداخلي في ضمير الانسان •

★

لي كلمة موجزة للاستاذ الشاعر « سعيد عقل » صاحب المقدمة ••

فعلاوة عن الكلمة الطيبة التي خطها يراعه الرصين ، فانه قد تحول في مقدمة تلك الى اسمى من أديب انساني تنضح تعابيره بالسحر والفتنة، تجتذبان القارىء بحلاوة ابداع لا يضاهى ، فتسربل بجمال بديع •• واسترسال مركز •

« زهير بورصلي »

النشاط الثقافي

أخبار الادب في

الجمهورية العراقية

★ سيشارك العراق في مهرجان اسبوع التعريب في العالم العربي ببرنامج تنهمك الآن في تحضيره السفارة العراقية في المغرب •

★ احتفل في السفارة المغربية ببغداد بتقليد العلامة الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي عضو المجامع العلمية وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة الذي أنعم به المرحوم الملك المجاهد محمد الخامس عليه تقديرا لمكانته العلمية والفكرية البارزة في العالم العربي وقد حضر الحفلة فريق من العلماء •

★ باشر الاستاذ المحامي محمود العبطة بطبع الجزء الثاني من كتابه عن المرحوم القاص محمود احمد السيد وكان الجزء الاول قد صدر في السنة الماضية •

★ قدم للطبع كتاب) نسمة السحر في ذكر من

تشيع وشعر (للشريف يوسف بن يحيى اليماني المتوفي سنة ١١٢١ هو تحقيق المحامي رشيد الصفار .

* اكمل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد هادي الآميني كتاب (في مركب الادب الفاطمي) وهو حلقة جديدة من سلسلة دراساته عن الفاطميين .

* صدر للاستاذ الشاعر سلمان هادي الطعمة ديوانه الجديد (الاشواق الحائرة) وهو مجموعة قصائد وجدانية قدم لها الدكتور يوسف عز الدين سكرتير المجمع العلمي .

* يصدر قريبا الجزء الثالث من كتاب (كربلاء في التاريخ) للمؤرخ المرحوم عبد الرزاق الوهاب الطعمة كتب مقدمته العلامة السيد هبة الدين الحسيني .

الطويلة (كابوس في جبين الشمس) وقد كتب عنها

* صدرت للاستاذ الشاعر صلاح النيازي قصيدته أدباء النقد في الصحافة الادبية .

* صدر مؤخرا للاستاذ يحيى وهيب الجبوري كتاب (لبيد بن ربيعة العامري) وهو دراسة أدبية لهذا الشاعر المخضرم الذي يعتبر من شعراء المعلقات وقد درس فيه حياته وشعره في الجاهلية والاسلام ومعاصروه واخيرا مختارات من شعر الشاعر .

* الدكتور علي الزبيدي الاستاذ بجامعة بغداد في طريقه الى الانتهاء من كتابة مجموعة مسرحيات اجتماعية ستمثل معظمها على شاشة التلفزيون .